جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ

مذكرة تخرج لنيل شهادة الليسانس

نماذج عن الجوسسة الفرنسية في الجزائر في القرن 19

نماذج " ليون روش، لوس أللكس، أوريلي بيكار،أزابيل ايبر هارد"

إعداد الـطّالب
جيدل عبد العزيز

إشراف الأستاذ
بنور فريد

السّنـــة الجـــامعـــيّة
2008 - 2009

مقدمة

احتلت فرنسا الجزائر في صيف 1830م وذلك بعد تجهيز حملة عسكرية تشبه تلك الحملة التي قام بها نابليون بونابرت على مصر في ربيع 1798م ، وكانت الحملة على الجزائر مكتملة التجهيز والعدة ، والشيء الذي أريد التطرق إليه بعد هذا التمهيد هو استحداث هيئة جديدة في الجيش الفرنسي وهي هيئة المترجمين العسكريين ، هذه الأخيرة التي ستلعب دور كبير في تغلغل الفرنسيين داخل المجتمع الجزائري بحكم أن المنخرطين فيها كانوا أقرب الى أهل البلاد لأنهم يعرفون اللغة العربية وحتى لهجات المنطقة كما ساهمت هذه الهيئة في القيام بعمليات جوسسة على أبطال مقاومة الجزائر على غرار ما حدث مع الجاسوس ليون روش مع الامير عبد القادر الجزائري ، ونحن في هذا العمل تطرقنا لموضوع الجوسسة الفرنسية في الجزائر وذلك من خلال دراسة نماذج لبعض الجواسيس (سواء كانوا رجالا أو نساء) .

من خلال ما تقدم تتبادر لأذهاننا مجموعة من الأسئلة حول الموضوع المراد دراسته فمثلا من أين خرج هؤلاء الجواسيس ؟ أو كيف كانت تكونهم فرنسا ؟ ومن هم ابرز النماذج (الجواسيس) وأخطرهم علينا من حيث أعمالهم ؟ وما هي ابرز أعمالهم لصالح بلادهم وضدنا ؟ وكيف استطاعوا التغلغل في المجتمع الجزائري ؟ وكيف خدعوا قادة مقاومة الجزائر وتمويههم ؟

أما عن الخطة التي من خلالها تم دراسة هذا الموضوع فهي قد توزعت على مقدمة وفصل أول تمهيدي عنوانه هيئة الترجمة العسكرية ومترجمو الجيش الفرنسي حيث تناولت في هذا الفصل تأسيس هذه الهيئة ودور المترجمين العسكريين ومهامهم وشروط الدخول لهذه الهيئة وتنظيم الامتحانات وختمناه بذكر مساهمة بعض الجزائريين فيها وابرز المترجمين الذين مروا عليها وبعض مؤلفاتهم .

أما الفصل الثاني الذي كان عنوانه رحلة ليون روش الى الجزائر ففيه درست شخصية ليون روش وقدومه الى الجزائر وانتقال ليون روش الى دولة الامير عبد القادر وعودة ليون روش الى الجيش الفرنسي وذكرت دوره في العلاقات الجزائرية المغربية في هذه الفترة وختمنا هذا الفصل بذكر تقديم لكتاب ليون روش 10 سنوات خلال الإسلام .

وفي الفصل الثالث الذي عنونته برحلة ليون روش الى الحجاز فقد تطرقت فيه الى مهمة روش في تونس ومصر مع ذكر مرافقيه ومساعديه، كما ذكرت المسالك والمحطات التي انتقل فيها روش للوصول الى هدفه الذي ،هو الفتوى لأذكر بعدها كيف وصف روش المدن والمحطات التي توقف عندها ووصفه لبعض مظاهر

من الحياة الاجتماعية كذلك ذكرت رؤية روش للوهابيين وتطرقه لقافلة الحج ومعاملة الحجاج الجزائريين وختمت هذا الفصل بلقاء روش وشريف مكة .

وفي الفصل الرابع الذي عنوانه، نماذج عن جاسوسات أوربيات في الجزائر ،وفيه ذكرت ثلاثة نماذج لجاسوسات أوربيات مررن على الجزائر، ومنهن نجد" لوس الليكس" واو ريلي" بيكار" "وإيزابيل" "إبيرهارد "

أما الخاتمة فقد تضمنت النتائج التي جاءت في البحث، والذي تبين دور الهيئة في تخريج عناصر أمثال روش، وتم تبيين أراء ومواقف روش التخريبية للقضاء على المقاومة الجزائرية ،ومتابعة خطوات الامير عبد القادر ،وذلك حتى نهاية أمره ، وفيها أيضا تبيان لأعمال "لوس" داخل الأسرة الجزائرية، و"او ريلي بيكار" في الطريقة الصوفية التجانية، "وإيزابيل ايبرهارد" في الزاوية القادرية ،أما عن الصعوبات التي واجهتني في عمل هذا الموضوع ،هي أن الذين تطرقوا لهذا الموضوع اغلبهم فرنسيين أجانب ،لذلك تجد في مؤلفاته او حتى في مقالاتهم انحياز واضح وحتى في تفسيرهم للأحداث ،وربما هذا راجع الى أن مصادر الموضوع كلها قديمة مما أدى الى خلوها من الروح العلمية ، والملاحظة الأخرى كذلك هو أن الذين كتبوا عن الموضوع من العرب لانجدهم وهذا باستثناء الدكتور يوسف مناصرية، أي قلة تطرق الباحثين العرب (الجزائريين) لمثل هذه المواضيع ، هذا الشيء الذي أدى بنا للاعتماد على كتابي ليون روش 32 سنة خلال الإسلام، و10 سنوات في الإسلام باعتبارهما مصدرين ولايمكن لأي شخص يريد الكتابة حول هذا الموضوع الاستغناء عنهما أو المرور عنهما ــ كذلك الشيء الاخر الملاحظ هو أن مثلا كتاب ابن الامير محمد بن عبد القادر الجزائري، المحقق من طرف ممدوح حقي المسمى تحفة الزائر، لم يتطرق فيه ابن الامير الى روش أو قصته أو خيانة روش لأبيه ،علما أن الكتاب كان قد أملاه الأمير عبد القادر على ولده هذا عن المصد ر الأول الذي أرخ لحياة الامير، وغيرها من المراجع الأخرى التي تطرقت لحياة الامير ومقاومته للفرنسيين كلها تتطرق لبنائه الدولة الجزائرية الحديثة الأولى، ومقاومة الاحتلال ولكنها لاتتوسع وحتى أنها لاتتطرق لقصة روش مع الامير وخيانته وخداعه للأمير أو قيامه بالجوسسة لصالح فرنسا .

أما الكتب التي تحدثت عن الجاسوسات الأوربيات ،فهي قليلة إن لم تكن منعدمة وتأخذ طابع الكتب الروائية التي فيها مغامراتهن وحياتهن ،ولكنها ليست بكتب اكادمية وهناك من كتب كمثال قصة أو حياة "إيزابيل ايبرهارد" ،ولكنه أخفى الكثير من الحقائق وهذا بحكم طابع عمله ،وهو الشيء الذي أدى الى اكتناف الغموض قصة "إيزابيل ايبرهارد"، أما "اوريلي بيكار" فأحباء الطريقة التجانية مايزالون إلى اليوم يكنون لها الاحترام ويعتقدون فيها البركة ويدافعون عنها ، إذا الطابع العام حول قصص هؤلاء النسوة تميز بالازدواجية والغموض ولكن بالاعتماد على الدراسات الاكادمية، التي توصل إليها الأساتذة والباحثون نتوصل الى الحقيقة وقد اخترت هذا الموضوع لأنه لم يتطرق سابقا إليه، وهو موضوع نتناوله في دراستنا لتاريخ الجزائر الحديث عرضيا أو نمر عليه مرور الكرام، مع انه من أهم المواضيع لان الكثير من الناس يعتقدون أن هؤلاء الأشخاص لم يكونوا جواسيس، وإنما قدموا أعمال حضارية كبيرة وهذا نجده في الكتب الأجنبية

وبعض الكتب العربية ولكن باستعمال العقل وتحليل الأحداث والروايات والاعتماد على الأدلة المتوفرة تظهر الحقيقة للعيان عكس ماهو منتشر اليوم فمثلا هناك مؤسسة تعليمية في باب الواد أطلق عليها اسم ليون روش وهذا دليل على المغالطة المنتشرة في وسط العامة لذلك دورنا نحن إن نصحح التاريخ كل باستطاعته .

ونحن نقدم هذا العمل المتواضع لابد لنا أن ننوه بفضل الأستاذ المشرف الأستاذ" بنور فريد" ،الذي وافانا بمصادر عن الموضوع لم نكن نستطيع الوصول إليها لولاه ، وقدم لنا النصح والإرشاد ولم يبخل علينا بشيء فله عنا جزيل الشكر، وأبقاه الله ذخرا للأمة العربية الإسلامية ، وفي الأخير نتقدم بالشكر لكل من ساعدنا بحرف أو بكلمة وفي مقدمتهم الدكتور الكبير وآب التاريخ الجزائري الأستاذ ابو القاسم سعد الله ، والأستاذ "مياسي إبراهيم" أستاذ التاريخ بجامعة الجزائر (معهد التاريخ) ونشكر عمال المكتبات الذين ساعدونا وقدموا لنا التسهيلات .

الفصل الأول : دور المترجمين في احتلال فرنسا للجزائر

1- دور المترجمين قبل تكوين هيئة المترجمين العسكريين :

لقد رأى الفرنسيون أن الترجمة أداة فعالة للتعرف على المجتمع الجزائري قبل الاحتلال وأثناء ذلك استعانوا بمترجمين ذوي خبرة سواء من المشرق أو من المستشرقين أو المبشرين الفرنسيين الذين وضعوا تقارير مفصلة عن جغرافية الجزائر وعاداتها ، وتقاليدها فكانت تلك التقارير الإطار الملائم لتقصي الحقائق و المعلومات التي ساعدت الفرنسيين على مغامرتهم في الجزائر هذا قبل الحملة الفرنسية على الجزائر [1] .

أما بعد أن تم احتلال الجزائر فقد ساهموا في شؤون البلاد الإدارية والعسكرية وتقديم الإرشادات إلى هيئة الأركان الحربية ومساعدة المستشارين العسكريين في كل الشؤون الخاصة بالجزائريين ، فلم تتردد الحكومة الفرنسية في تخويلهم المهام العسكرية و الاعتماد عليهم في المسائل الدبلوماسية في الخارج والإدارية وغيرها في الداخل [2] وسنحاول في هذه الورقات إلقاء نظرة ولو سطحية بسيطة على ظروف تكوين هذه الهيئة وإبراز مهامها قبل وبعد الحملة على الجزائر وشروط الدخول فيها مع الإشارة إلى دور ببعض الجزائريين في إدارة شؤونها والمناصب التي انتهى إليها ابرز أفرادها وذكر بعض مؤلفاتهم حول الجزائر .

تعد مرحلة ما قبل الحملة العسكرية على الجزائر المرحلة التي شغلت الساسة والعسكريين الفرنسيين من اجل نجاح تلك الحملة في أول الأمر، فالقضاء على المقاومة في المرحلة الثانية، ثم استتباب الأمن لجيش الاحتلال وللمعمرين الأوربيين في المرحلة الثالثة ، هكذا قام الفرنسيون بدراسة خاصة للجزائر عن طريق المترجمين (جواسيس)، واستفادوا من دراسات أخرى مترجمة كانت تسعى إلى نفس الهدف المتمثل في احتلال الجزائر وهكذا وظف الفرنسيون تجاربهم وخبرتهم في حملتهم ضد الجزائر ، ونحن نعلم اهتمام دول أوربا في ذلك الوقت باحتلال الجزائر ولكن كانت كل دولة مترددة في موقفها لعدم توفر المعلومات الكافية حول هذه البلاد مما حتم عليها توظيف الترجمة عن طريق الدبلوماسيين والجواسيس [3]

---

1 - ممد الصالح بكوش ، (**دور المترجمين في احتلال فرنسا للجزائر**) ، مجلة أول نوفمبر ، العدد 170 ، الجزائر 2007، ص 18 .

2 - يوسف مناصريه ، (**دور المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي في الجزائر**) ، مجلة التاريخ ، عدد النصف الثاني من سنة 1982م ، الجزائر 1882م ، ص 41

3 - محمد الصالح بكوش، مرجع سبق ذكره ، ص 18 .

وذلك للقيام بدراسة الوضع العام في الجزائر من جميع النواحي ، ووضـــع بحـــوث حـــول نتـــائج الدراسات في متناول الساسة للإقدام على احتلال الجزائر ويندرج في هـــذا الإطـــار كتـــاب القنـــصل الأمريكي في الجزائر وليام شيلر تحت عنوان " موجز تاريخ الجزائر "[1] حيث بدا شيلر يرسل نتـــائج أبحاثه إلى أمريكا منذ سنة 1823م وكلها ترجمت ونشرت في باريس ســـنة 1830 م ، وهكـــذا فـــإن الفرنسيين هم الذين استفادوا عن طريق الترجمة من مخططات وأفكار شيلر الذي كان قد اقترح - فـــي كتابه استعمار اوربا للجزائر - قائلا في نفس الوقت انه يجب على بريطانيا أن تعزم على احتلال هـــذا القسم من إفريقيا ، وقد ترجم كتابه إلى الفرنسية في الحال بعنوان "موجز تاريخ الدولة الجزائرية" ومن ثم وضع في متناول "وزارة الحربية الفرنسية" ، وبعد عام واحد من صدور ذلك الكتاب عـــام 1827م وبعد قضية المروحة ، أعلنت فرنسا حصار كامل على الجزائر دام ثلاث سنوات دون نتيجة [2] .

والجدير بالملاحظة انه قبل الحملة العسكرية ضد الجزائر اضطر الساسة والعسكريون الفرنـــسيون إلى الاستعانة بالمترجمين مرتين سابقتين في حملتهم ضد مصر 1798م وفـــي احـــتلالهم العـــسكري لمنطقة مورية ، ففي مصر لم يحصل المترجمون على رتب عسكرية لأنهم كانوا ينتمون إلـــى لجنـــة العلوم والفنون [3] ، وبعضها كان ينتمي إلى المعهد المصري وقد استعمل الفرنـــسيون فـــي احـــتلال منطقة مورية الضباط المماليك مترجمين فاحتفظوا بنفس الرتب التي حـــصلوا عليهـــا أثنـــاء الخدمـــة العسكرية وهكذا فهمت الحكومة الفرنسية من خبرتها في الحملة العسكرية على مصر كم كانت مساعدة المترجمين ضرورية لها ، سواء فيما يتعلق بالخدمة العادية كالمراسلات بالعربية ، أو ما يتعلق بإقامـــة علاقات مع السكان الأصليين وإرشاد الجيوش في بلد مجهول لـــديهم ، فعينـــت بعـــض المستـــشرقين المشهورين وطلبة مدرسة اللغات الشرقية وضباط المماليك التابعين للحرس الملكي القديم لأداء مهمـــة الترجمة [4] .

---

1 ــ وليام شالر ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر **1816 - 1824** ، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي ، الطبعة الأولى ،1402هـ ، 1982م.

2 ــ محمد الصالح بكوش ، مرجع سبق ذكره ، ص **19** .

3 ــ هي لجنة كونها بونابرت في **9** ماي**1798**م أثناء استعداده للقيام بالحملة الفرنسية على مصر، وكانت تضم علماء مكلفين بدراسة آثار مصر ، وتاريخها وجغرافيتها ووضعها الطبيعي ــ وقد انضم العديد من المستشرقين إليها فحصلوا على لقب ترجمان الجيش ، وهم قتيري دي برادي ، اميدي جوبير ، برا سيفيك ، ديلا بورت ، ماغلان ، لو ماكا ن رايج ، بالتاست ، مار سال ... انظر لوران شارل فيرو تراجمة جيش إفريقيا ، الجزائر جوردان **1876**م ص **21**،**46** .

4 ــ المعهد المصري : المعهد الذي كونه بو نابرت بمصر في **20** ماي سنة **1798**م وكان احد أعضائه كما كان يضم عدة علماء وسياسيين منهم فوري ، مونج ، برثولي ، اندريوسي ....الخ انظر شارل فيرو المصدر السابق ، ص **22-36**.

2 - تأسيس هيئة المترجمين العسكريين:

فكرت الحكومة الفرنسية قبل الحملة على الجزائر سنة 1830م في إنشاء هيئة للمترجمين العسكريين تكون واسطة بينها وبين مجتمع جديد تجهل لغته وأخلاقه ودينه وكل مقوماته ، وهو المجتمع الجزائري العربي المسلم الذي تريد غزوه واستفادت في تلك الفترة كما قلنا سابقا في تجربة مصر ومورية ، فتم استدعاء كل من المستشرقين وتلاميذ مدارس اللغات الشرقية وخريجيها وضباط المماليك التابعين للحرس الملكي سابقا ، والقناصل ورجال السفارات في المدن الشرقية وكاتبت إدارات القنصلية المتمركزة في المدن الساحلية من بلدان شمال إفريقيا والمدن الواقعة على الجهة الشرقية من ساحل البحر المتوسط ، تطلب جمع اكبر عدد ممكن من الرجال الذين يمتازون بالقدرة على أداء هذه المهمة ، وقد اشترطت فيهم التوسع في شتى العلوم وموالاة فرنسا (1) .

كما اشترطت في الفرد منهم أن يكون ذكيا نابغا تكسوه الهيبة والوقار والحزم في تنفيذ الأوامر وله تجربة واسعة في ميدان الترجمة ، ويمتاز بشعور الانتماء إلى فرنسا (وطني) وله معرفة واسعة على الأقل بالغتين العربية والفرنسية وان يكون نشيطا في عمله بليغ في حواره ومفاوضاته وذا قلم نابه في كتاباته وتقاريره وارد على الرسائل (2) .

وفي شهر جانفي 1830 عهدت وزارة الحربية الفرنسية بهذه المهمة إلى العقيد "كلار مونت تونار"(3)، احد أعضاء هيئة الأركان الحربية الذي كان متضلعا في اللغات الشرقية، ففتح مكتبا خاصا بتجنيد الموظفين الراغبين في الالتحاق بهذه الهيئة ،وتكونت لأول مرة تحت قيادة الجنرال "لو فاردو"، أطلق عليها اسم "هيئة المترجمين والمرشدين العسكريين" ،وقد كان من بين المترجمين الأوائل الذين التحقوا بهذه الفرقة السيد" دي براسيفيش"احد مترجمي"بو نبارت" في مصروالسيد "جاكوبي حبايبي" (4)

وهو عقيد المماليك سابقا الذي ضم إليه الباقين من رفقائه في الجيش المملوكي، ومنهم ابنه وحفيده وقد شارك في الحملة على الجزائر، وكان القس الكاثوليكي السوري "شارل زكار" من رجال الدين

---

1 - l. feraud. Les interprètes de l,armée de Afrique (archives des corps) Alger – Jourdan 1876. pp48-49

2 – يوسف مناصرية ، مرجع ذكر سابقا ، ص 42.

3 – استفاد كثير ا من تجاربه الواسعة التي اكتسبها في هذا المجال، وخاصة مع علاقته مع البحارة الفرنسيين الذين كانوا يجوبون سواحل شمال إفريقيا، ومن اتصالاته مع بض القناصل الأوربيين في المشرق وإفريقيا، كما ساعدت أيضا لقاءاته مع بعض تجار الجزائريين في مرسيليا وتحاوره معهم على إجادة اللغة العربية انظر :

Féraud, op. Cit. , p49 .

4 - يوسف مناصرية ، مرجع ذكر سابقا ، ص 43،42.

الذين ساهموا في هذه الحملة كمترجمين ، ومن ابرز أعضاء هذه الهيئة أيضا الأستاذ اللامع "سيلفاستر دي ساسي" [1] .

الذي دفع ابرز تلاميذه للانخراط في هذه الهيئة ونظرا للأهمية الإستراتيجية التي أولتها وزارة الحربية الفرنسية لهذه المؤسسة ، فقد أدرجتها في شهر أفريل من نفس السنة تحت قيادتها المباشرة وجعلتها في المكانة الثانية بعد الفرقة الملكية التي كانت تابعة لهيئة الأركان الحربية وحددت الوزارة عدد المترجمين والمرشدين بأربعين شخص ، غير أنها لم تستطع جمع هذا العدد ولذلك لم تكن تضم في بدايتها إلا 23 شخصا فقط [2] .

وفي شهر مارس 1830م قام العقيد جنرال "دسبريس" قائد أركان الحرب العامة بالمشاركة مع العقيد "كلارمونت تونار" ، بتعيين المترجمين و المرشدين في مناصبهم وتوزيعهم على فرق الجيش وقسموا كالتالي : خمسة مترجمين من الطبقة الأولى وأولهم السيد "دوبنيوسك" والسيد "جيرا ردين برتبة عقيد ، وثلاثة مترجمين من الطبقة الثانية وأولهم السيد "فانسان" احد تلاميذ المدرسة الملكية للغات الشرقية بباريس ، برتبة قائد فيلق ، وسبعة مترجمين من الطبقة الثالثة وأولهم السيد "أبي طبال" مغربي من جبل طارق برتبة نقيب ، وثمانية مرشدين مترجمين قسموا إلى طبقتين الأولى برتبة ملازم أول والثانية من فصيلة صف الضباط [3] .

وبهذا تكون هيئة المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي قد تكونت في بدايتها من الدبلوماسيين الفرنسيين القدماء (مثل براسيفيش) ومن القساوسة الكاثوليكيين (أمثال الأب زكار شارل) ومن المترجمين القدماء في الجيش الفرنسي في مصر (مثل العقيد جاكوبي حبايبي) ومن تلاميذ المدرسة الملكية للغات الشرقية بباريس مثل "فانسان" و"دي صال" وهناك من أفراد هذه الهيئة من كان يتقن عدة لغات أخرى زيادة على اللغتين الفرنسية والعربية مثل المرشد "أبي طبال" الذي كان يتكلم بالإضافة إلى العربية والفرنسية اللغتين الانجليزية والاسبانية [4] .

كما أن وزارة الحربية حددت لهم مرتبات خاصة حسب طبقاتهم الثلاثة : (500 فرنك شهريا لكل مترجم من الطبقة الأولى، و 300 فرنك شهريا لكل مترجم من الطبقة الثانية، و 150 فرنك شهريا لكل مترجم من الطبقة الثالثة، و 100 فرنك شهريا لكل مرشد مترجم ، مع بعض الامتيازات

1ـ مستشرق فرنسي: ولد في 21سبتمبر 1758م بباريس ،وتوفي في نفس المدينة في شهر فيفري 1838م، تقلد كرسي اللغة العربية والأدبية من سنة 1796م إلى 1838م في مدرسة اللغات الشرقية ، كان يحسن الكثير من اللغات منها العربية ، والعبرية والانجليزية والاسبانية ، الايطالية= الألمانية ، الفارسية ...بالإضافة إلى عدة لهجات محلية وله مؤلفات كثيرة منها النحو العربي في استعمال تلاميذ المدرسة الخاصة للغات الشرقية ، انظر : يوسف مناصرية ، مرجع ذكر سابقا ، ص.43 .

2ـ يوسف مناصرية ، مرجع سبق ذكره ، ص 43 . انظر أيضا : -Feraud, op, cit pp 48, 49

3 -ibid, pp 49 .

4 - ibid, pp 53-57- .

الأخرى مثل الحصول على الوجبات اليومية وعلف الخيول مجانا)، كما حدد ت الوزارة أيضا شكل ولون ملابسهم بمقتضى قرار وزاري صدر بتاريخ 3 أفريل 1830م [1].

3- مهام المترجمين العسكريين قبل وبعد الحملة على الجزائر :

لقد اختلفت مهام المترجمين العسكريين في الجزائر بعد الحملة عن الدور الذي كانوا يؤدونه قبلها ، فلقد تركزت قبل سنة 1830م على المسائل الدبلوماسية والجوسسة في البلدان الإسلامية ، فكان المترجم عبارة عن واسطة بين السفراء والقناصل الأوربيين وبين الوزارة والحكام العثمانيين والمسلمين ، وكان المترجم في هذه الفترة هو الوسيلة الضرورية لأداء المهام الدبلوماسية ، ويترتب نجاحها أو فشلها على مستوى براعته أو قدرته على أداء دوره وتبليغ مطالب بلده ونيل مقاصده بطريقة يكسب بها رضا مفاوضيه [2].

ولابد أن نتطرق ولو بالإشارة إلى تلك البعثة الفرنسية التي جاءت إلى تونس في شهر افريل 1830م والتي كانت تتكون من أشخاص ثلاثة ("دوبنيوسك" ، "جيرا ردين" ، و"ريم بارت") وكان هدفها التجسس على أحوال المسلمين والكشف عن نوايا الباي التونسي ومعرفة مواقفه اتجاه داي الجزائر ، والبحث عن مصدر خصب لتمويل الجيش الفرنسي الغازي في المستقبل ، والتأثير على نفسية وعقلية السكان في المدن والقرى والأرياف، وخلق الشقاق بين حكام البلدان الثلاثة لعزل داي الجزائر عن جاريه بآي تونس وسلطان المغرب الأقصى، ومحاولة فصله أيضا عن بايلك قسنطينة في الشرق،و بايلك وهران في الغرب ومنع وصول المعونات المادية والبشرية إلى مدينة الجزائر [3].

وقد كللت هذه المهمة بالنجاح في بعض جوانبها ، وتلقى قائد الجيش الفرنسي تقارير عن ذلك من أعضاء البعثة ، وجاء في تقرير السيد "دوبنيو سك" [4] ، عرض للأحوال السياسية والاقتصادية للبلاد مع باب خاص بالإحصاءات، وحذر فيه من احتمال تقديم مساعدات من الباي التونسي إلى داي الجزائر، واقترح توجيه الأسطول الفرنسي إلى جزيرة سيدي فرج ، والنزول فيها كما تلقى القائد الفرنسي أيضا تقارير مماثلة، من السيدين "جيرا ردين" و"ريمبارت" تضمنت تفاصيل حول المسائل

1 - Ibid., pp 53-57.

2 - يوسف مناصرية ، مرجع سبق ذكره ، ص 45 .

3 ـ نفس المرجع ، ص 45 ، انظر أيضا : محمد الصالح بكوش ،(دور المترجمين ....) ،مرجع سبق ذكره ،ص 20.

4 ـ علما انه قد خولت الحكومة الفرنسية قبل هذه الفترة عدة مهام للسيد" دوبنيو سك"، في المدن العثمانية وقد ساعدته معرفته للغة العربية على النجاح فيها ،فهو الذي كان قد قدم تقريرا للكونت "دي بورمون" بتاريخ 15 فيفري 1830م، ومذكرة تعرض فيهما إلى أحوال البحارة السردينيين والكورسيكيين الذين كانوا يقومون برحلات سنوية يصطادون فيها المرجان من سواحل البحر الأبيض المتوسط، وكانوا لا يلتحقون بسواحل إفريقيا الشمالية إلا في نهاية شهر جوان ولا يغادرون موانئها إلا في منتصف الشهر أوت، وألح في نهاية تقريره على ضرورة الحملة على الجزائر وقال أن الفرصة سانحة لمباشرتها قبل حلول فصل الشتاء ، انظر :

Narcisse faucon, **le livre d, or d, algerie (1830-1889)** paris t1 pp 22-20 .

الدينية ،وأشارا فيها إلى التغيرات التي طرأت على نفسية المسلمين وعقليتهم إثر إعلان الباي التونسي حول التبادل التجاري في الأسواق ،كما عينا له أيضا الأحوال الجوية المناسبة لإبحار الأسطول [1].

وتجدر الإشارة إلى انه تم من قبل تكليف "بيانشيمي" مترجم وكاتب الملك سنة 1829م بمرافقة الكونت "دي لابريتونيار " المبعوث في مهمة إلى مدينة الجزائر من اجل إصلاح ما أفسدته ماسمي بحادثة المروحة لكن دون جدوى فسعى الفرنسيون إلى إضعاف معنويات الجزائريين بواسطة عملائهم ومنشوراتهم السرية وقبل أن يغادروا "طولون" متجهين إلى الجزائر أعلنوا عن بيان كتب باللغة العربية وأرسلوا منه 400 نسخة إلى قناصلهم "دليسبس" في تونس لتوزيعها في الجزائر برعاية التراجمة "ريمبير" "دوبنيوسك" و"جرا ردين" كما وزعت المخابرات الفرنسية ذلك البيان في تونس والمغرب وربما في ليبيا أيضا [2] .

ويلاحظ الدكتور سعد الله أبو القاسم ، أن النسخة العربية للبيان تفتقد إلى الفقرة الواردة في نسختين مترجمتين عن جريدة" لو منيتور" الفرنسية بتاريخ 2 يونيو 1830م وهي،« أن الفرنسيين سيعاملونكم كما عاملوا إخوانكم المصريين الذين يفكرون فينا دائما ويأسفون على مغادرتنا لهم منذ ثلاثين عاما وما زالوا يرسلون أبنائهم إلى فرنسا ليتعلموا القراءة والكتابة وغيرها من المهن المفيدة » .[3]

وكما قلنا سابقا فإن الفرنسيين استفادوا من تجربتهم في مصر وذلك من عدة جوانب وخصوصا فيما يتعلق باستعمال المترجمين إذ أن بقايا المترجمين في حملة "نابليون" على مصر هم الذين تولوا الترجمة لجيش "دي بورمون" في الجزائر وكان من هؤلاء التراجمة رجال من مصر وسوريا ورجال من فرنسا وغيرها من البلدان الأوربية وهكذا فإن معظم المترجمين الأوائل في الجيش الفرنسي كانوا من مواليد بلدان عديدة هي مصر سوريا ، تونس ، الجزائر، طنجة ، مالطا وغيرها

كما انه يبرز دور التراجمة في المراحل الأخيرة ،من الحملة العسكرية ضد الجزائر وخاصة ما قام به التراجمة "جورج قوري" (يسمى أيضا "بوزاس جيارفي") وهو من أصل سوري ويتحدث اللغة العربية بطلاقة و"أياس" و"دي برا سيفيك" فعند نزول الجيوش الفرنسية في سيدي فرج اختلط "قروي "بالجزائريين وقام بتوزيع البيان الذي أصدره "دي بورمون" ودخل معهم في نقاش حول دور الجيش الفرنسي في الجزائر ثم غامر بحياته وذهب إلى الداي حسين طالبا منه التفاوض والخضوع لمطالب الفرنسيين فقتله ، أما "ليون أياس" فقد وصل عقب المعارك الأولى إلى سطاوالي ودخل في محادثات مع الجزائريين يطلب منهم الاستسلام ومن جهة أخرى فإن الكونت "دي بورمون" سلم وثيقة شروط

---

1 - Féraud, op.cit, pp 48-61 .
انظر أيضا يوسف مناصرية ،(دور المترجمين ..) ،.مرجع سبق ذكره ، ص 46 .

2- - نشر البيان لأول مرة في العدد السادس من المجلة الإفريقية سنة 1826م ص 153 – 156، مرفقا بترجمة حرفية فرنسية قام بها المستشرق بريني .

3 – أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، الجزء الأول ، الجزائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981م / 1401، ص275.

الاستسلام إلى مبعوثي الداي حسين مرفقة إمضائه ولكن ليتأكد من أن الشروط تترجم بأمانة للداي اقترح على "براسيفيك" أقدم مترجم في الجيش الفرنسي أن يذهب إلى مدينة الجزائر ويقرأ الشروط [1] على الداي فقد قام براسيفيك بنفس الأمر منذ 32 سنة في الحملة العسكرية ضد مصر بصفته المترجم الأول لفرنسا فقبل برا سيفيك[2] المهمة التي أدت إلى توقيع الداي حسين باسم الجزائر ودي بورمون باسم فرنسا اتفاقية الاستسلام في 05 من شهر جويلية 1830 م [3] .

أما المهمات الجديدة للمترجم بعد الحملة فهي بالإضافة إلى ترجمة النصوص والأقوال العربية إلى الفرنسية والعكس ، خبرته في الإدارة ومعرفته بقوانين فرنسا وعادات وتقاليد وشرائع المسلمين فقد كان عليه أن يقوم بإرشاد الفرق العسكرية لخوض المعارك في بلد تجهله وإعداد المراسلات باللغة العربية لربط العلاقات مع الجزائريين والاستماع إلى تقارير الجواسيس ومراقبتها ومراقبة القيادة العسكرية أين ما ذهبت [4] .

وكان الجنرال دي بورمون قد فكر في تنسيق هذا العمل وتهيئة المناخ قبل نزول الجيش على شواطئ سيدي فرج فكما قلنا سابقا ، عين لجنة لدراسة عادات وتقاليد الجزائريين والمؤسسات المحلية القائمة ، والاطلاع على احتياجات البلاد وتقدم له في الأخير تقرير فيه الإجراءات الإدارية والعسكرية الضرورية لهذه الحملة الجديدة وكانت هذه اللجنة تحت قيادة المارشال "فالازي" [5] .

وتوزع المترجمون غداة الحملة على مختلف المناصب الإدارية والعسكرية وغيرها فكلف الملازم الجنرال "دوبنيوسك" بمراقبة السكان الجزائريين من عرب وأتراك ويهود وتحدد دور السيد "جيرا ردين في التعرف على المساكن الحكومية في مدينة الجزائر ، وضواحيها واشترك السيد "دي صال فانسان" في القيام بمهمة مصادر وموارد البلاد الاقتصادية كما عين الجنرال أيضا بعض المترجمين الآخرين للاطلاع على المسائل الجمركية والصحية وقد أولت الحكومة الفرنسية اهتماما كبيرا لهذه الهيئة أثناء مراحل الاحتلال الأولى فنجد من ذلك أن الجنرال "بيرتزين" الذي خلف الجنرال كلوز يل يقترح على وزارة الحربية إعادة تنظيم هذه المؤسسة العسكرية وإصلاحها وتكوين فرقة للدرك من الجزائريين لمساعدتها وهي تقوم بمهام الشرطة داخل المدينة وضواحيها .

غير أن عودة العناصر الملتزمة والنشيطة مثل(دوبنيوسك ") إلى فرنسا واهتمامه بالتأليف حيث أننا نجد أن السيد دو بنيوسك ألف كتاب حول الجزائر بعد عودته منها سنة 1832م اسماه (اعتبارات حول

1 – محمد الصالح بكوش ، مرجع سبق ذكره ، ص 26 .
2 - نفس المرجع ،ص 26 .
3 – نفس المرجع ، ص 26 .
4– يوسف مناصرية ، مرجع ذكر سابقا ، ص 46 .
5 -feraud, op.cit.pp48-61.

الجزائر) ، هذه الأمور كما قلنا افقدت هيئة المترجمين العسكريين قيمتها الإستراتيجية فقل عددها وضعف نشاطها واضطرت إلى ضم بعض العناصر الضعيفة التي لا ترتبط بمصالحها إلا بحكم[1] الانتماء وهو ما أدى إلى ارتكابها عدد كبير ا من الأخطاء في مراسلاتها مع الجزائريين ومعاهداتها مع مقدمي[2] القبائل فلم تكن لها القدرة على تبليغ محتوى المطالب الفرنسية بدقة وكان ذلك كله سببا في عرقلة توطيد العلاقات مع الجزائريين وهكذا خاب أمل فرنسا وضاع ما كانت تنتظره من هؤلاء المترجمين [3].

ولذلك عمدت إلى إصلاح المؤسسة من جديد خاصة بعد أن تكاثرت تقارير ومطالب نخبة من أفرادها الأكفاء على وزارة الحربية تأكد على إعادة إصلاحها ،وإنقاصها من الانحراف وقد استعادت الهيئة نشاطها الفعلي بعد مجيء الدوق "دي روفيقو" إلى الجزائر سنة 1832م وحضور بعض القناصل والمستشرقين الأكفاء من قنصليات فرنسا من البلدان الإسلامية ودارسو اللغات الشرقية في المشرق مثل "دي لا بورت" قنصل فرنسا في طنجة و"فرعون" والإخوة "روسو مارتين" و"بو سيبي" وذلك بطلب من الدوق نفسه عن طريق وزارة الحربية بالإضافة إلى مجهودات المستشرقين السالفي الذكر فإن نجم الهيئة سطع خاصة بعد أن أحيلت مسؤولياتها إلى السيدين "دي لابورت" و"فرعون" وتوظفت بعض عناصرها في مصالح مكتب الشؤون العربية الذي كان يرأسه السيد "بيليسي دي رينو" (1834م -1835م) [4] .

وباحتلال مدينة عنابه ووهران، وقسنطينة تعددت مراكز هيئة المترجمين وتوزعت على القطر الجزائري، وطرأت تغيرات عدة على تنظيمها الهيكلي ففي سنة 1830 م في عهد(المارشال فالي)،تغيرات على الشكل التالي : ثلاثة مترجمين رئيسيين موزعين على الجزائر ووهران وقسنطينة ، وثمانية من الطبقة الثانية في الجزائر وستة في وهران وستة في قسنطينة ، بالإضافة إلى أربعة مترجمين عسكريين من الطبقة الثالثة وخمسة عشر إضافيين وزعوا كلهم على بقية المدن الأخرى [5]

1– يوسف مناصرية ، مرجع ذكر سابقا ، ص 47 .

2 – Féraud, op.cit. , pp 7-61 .

3 - ibid .pp7-61.

انظر أيضا يوسف مناصرية ، دور المترجمين ....مرجع سبق ذكره، ص 46، 47.

4 – أسست المكاتب العربية سنة 1830 م للاهتمام بشؤون الجزائريين ،والاطلاع على أحوالهم خدمة لفرنسا وكان أول رئيس لها هو النقيب" دي لاموريسيار" واتى من بعده السيد "دي لابورت"، (أول مترجم أعلى لهيئة المترجمين العسكريين) ثم خلفه السيد "بيليسي" ، انظر :
Féraud, op. .cit. , pp 67-69.

5 – انظر القائمة التفصيلية الخاصة بالمترجمين الرئيسيين وطبقاته الثلاث والإضافية في كتاب (مترجمو الجيش الإفريقي لشارل فيرو ص 113،93 ،114 .

4- شروط الدخول في الهيئة وتنظيم الامتحانات :

أصبح الدخول إلى هذه الهيئة خاضعا إلى شروط مدروسة وإجراءات محدودة ، ففي سنة 1840م تكونت لجنة من السادة "دوماس" مدير الشؤون العربية رئيسا، و"ليون روش" مترجم الحاكم العام[1] الرئيسي عضوا ، و"بريسني" و" بير بروجر" وهما على التوالي ، أستاذ اللغة العربية ، ومحافظ المكتبة وانحصرت مهمتها في وضع برنامج تراعى فيه على الخصوص ، بالإضافة إلى شروط الدخول للامتحان ، سيرة الفرد وخلقه وانتمائه ، وقد فكرت الحكومة الفرنسية في إنشاء مدرسة خاصة بالمترشحين في باريس تكون ملحقة بالمدرسة العربية التي تأسست بمقتضى القرار الملكي الصادر بتاريخ 11 ماي 1839م[2] ،ويشترط في الجزائريين الراغبين في الالتحاق بها بعد النجاح في الامتحان المقرر أن يكونوا من عائلات معروفة ويكون هدفهم الوحيد هو الانخراط في هيئة المترجمين العسكريين لاغبر.[3] .

وقد دامت برامج الامتحانات متغيرة خلال القرن 19م كله ،إلا أن المحور العام كان يضم المواد التاريخية والجغرافية الشاملة لتونس والجزائر وفرنسا،وتاريخ الدولة الإسلامية خاصة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبالإضافة إلى بعض المواد اللغوية والحسابية ، فنجد مثلا أن برنامج 1901م كان ينقسم إلى فرعين الأول تحت عنوان (التعليمات المهنية) واقتصر على دراسة النحو العربي فقط وتختلف الأسئلة حسب طبقات المترجمين ، والثاني تحت عنوان التعليمات العامة ويضم :

1 ــ جغرافية إفريقيا وتنقسم إلى حلقتين ، الأولى خاصة بإفريقيا عامة ما عدا الجزائر وتونس والثانية خاصة بالجزائر فقط .

2 ــ الجغرافية العامة وجغرافية فرنسا ، تركز القسم على الجغرافية العامة باستثناء فرنسا وإفريقيا ، واهتم القسم الثاني بجغرافية فرنسا الطبيعية والسياسية والإدارية والاقتصادية مع جغرافية مستعمراتها في آسيا وإفريقيا .

3 ــ تاريخ إفريقيا الشمالية ، ضم القسم الأول منه تاريخ إفريقيا الشمالية من العهد القرطاجي إلى سنة 1830م ، ويحتوي القسم الثاني على تاريخ الجزائر من سنة 1830م حتى زمن الامتحان .

1ــ عرفت هيئة المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي قائدين تحت اسم (المترجم الرئيسي الأعلى) أولهما السيد دي لا بورت والثاني والأخير السيد ليون روش.

2 -Feraud, op.cit., Pp84-86.

3 - ibid, pp84-86.

4 ـ تاريخ فرنسا ، وقسم إلى ثلاثة حلقات الأولى من 1559م إلى 1789م ، والثانية من 1789م إلـى 1830م والثالثة من 1830م إلى الوقت الحاضر (الامتحان) [1].

5 ـ الحساب والهندسة التطبيقية ، يمتحن فيها المترشح مع حل بعض المسائل التطبيقية في المـادتين وكان شطر الامتحانات كتابي والآخر شفوي [2]

إذا كان الهدف من تدريس تاريخ فرنسا واضحا ، وهو إثبات الانتماء السياسي والروحي والـوطني للمجند ، فإن إقرار مادة التاريخ والجغرافيا للعالم الإسلامي وشمال إفريقيا خاصة وضـح إذا الهـدف المنشود، هو اختيار وتكوين عناصر عارفة بأمور المسلمين السياسية ، الاقتـصادية ، الدينيـة علـى الخصوص ، لان الجزائريين في هذه الحقبة التاريخية تتقسمهم الطرق الصوفية [3].

5- مساهمة بعض الجزائريين في هيئة المترجمين العسكريين :

لقد لعب الجزائريون دورا فعالا وحاسما في تكوين وبناء أسس الهيئة وإدارة شـؤونها ، ونجـد أن أسباب دخولهم فيها قد اختلفت، فمنهم من كان يحسن اللغتين العربية والفرنسية فالتحق بهـا مباشـرة ، ومنهم من خضع لكل إجراءات الامتحان ،ومنهم من وقع أسيرا بين أيدي الفرنسيين وهو صبي فالتحق بثانوية "لويس الكبير" ، هذه الأخيرة - التي تأسست بمقتضى القرار الملكي الذي صـدر بتـاريخ 18 نوفمبر 1669م- وبعدها يعين مترجما عسكريا، ومنهم من تخرج من المدارس العربية الموجودة فـي الجزائر وقسنطينة وتلمسان التي أسست لهذا الغرض ومثله. [4] .

فعندنا من خريجي ثانوية لويس الكبير نذكر السيدين احمد بن رويلة، وعلي الشريف بـن سـيدي مبارك ،الذين كانا والداهما كاتبين للأمير عبد القادر وقد وقع الاثنان في زمالة الأمير في يـد الـدوق "دومال" سنة 1843م، وألحقتهما الحكومة الفرنسية بثانوية "لويس الكبير" فـي الـسنة المواليـة وبعـد تخرجهما عينا مترجمين عسكريين سنة 1850م ، ثم التحقا معا بفرقة الصباحية سنة 1854م إلـى أن تقاعد الثاني سنة 1863م برتبة نقيب مساعد ومات الأول سنة 1864م [5] .

وكان السيد إسماعيل بو ضربة - هذا هو الذي كان والده ممثلا لشؤون الداي حسين في مرسيليا قبل الاحتلال - ، قد تخرج هو أيضا من هذه الثانوية سنة 1853م، وعين مترجما عسكريا بعـد ذلـك مباشرة ، ثم مترجما رئيسيا سنة 1872م ، ومات في مهمة عملية في قسنطينة ومن أهم أعماله مانشره

---

1 - ibid, pp121-115.

2ـ يوسف مناصرية ، مرجع سبق ذكره ، ص50.

3ـ نفس المرجع ، ص50..

4 ـ تأسست المدارس العربية الفرنسية الثلاث سنة 1850م وكانت الأولى في المدية، ثم انتقلت إلى العاصمة والثانية في تلمسان والثالثة في قسنطينة للتوسع انظر :

Henri masse, « **les études arabes en algerie (1830 -1930)**, <u>revue africaine</u>, n 376 -357 ,3 eme trim. 1953. Avguste cour **(notes sur les chaires de la lange arabe av Alger de constentine et d, oron (1832- 1879)** <u>revue africaine</u> 1924 .

5ـ يوسف مناصرية ، مرجع سبق ذكره ، ص 51 .

في (المجلة الجزائرية الاستعمارية ديسمبر 1859م) والذي وصف فيه أحـــوال مدينتـــه ورقلـــة[1] . وضواحيها كذلك من خريجي المدارس العربية في الجزائر نجد ،السيدين محمد بن العيد واحمـــد بـــن بريهمات ولدا في مدينة الجزائر في نفس السنة 1854م، وتخرجا من المدارس العربية بنفس المدينة وقد عينا مترجمين عسكريين سنة 1873م، وافترقا عندما نصب الأول مترجما قضائيا في مدينة تيزي وزو ،واستقال الثاني من منصبه نهائيا سنة 1877م ونجد أيضا من خريجي المدرسة العربية بقسنطينة مصطفى بلقاسم(الملقب سي صالح)، ولد في جيجل سنة 1844م وبكير خوجة ، من تأليفه "المنجد[2]

العربي الفرنسي " ومحمد بن السعيد من مدينة بسكرة ، و"دا مبريجو" واسمه الحقيقي قدور بن العربـــي "مملوك" ، والسعيد بن محمد سيدي كعوي ولد سنة 1859م ببجاية، ومن تأليفه منجدان احدهما بإحـــدى لهجات التو ارق[3] ، والفرنسية والثاني بالشلحية المغربية ،والفرنسية ونال بهما جـــائزة فـــضية ســـنة 1900م ، وقد وصل هؤلاء المترجمون جميعا إلى مرتبة مترجم عسكري مـــن الدرجـــة الأولـــى [4].

6- أبرز أعضاء الهيئة ومؤلفاتهم :

لقد جاب أعضاء هيئة المترجمين العسكريين جل أنحاء قطر المغرب الكبير واطلعوا علـــى جميـــع أحوله الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها ، وألفوا في ذلك عشرات التآليف والمقالات ونحوهـــا ، وركزوا على النواحي الجغرافية والتاريخية والدينية على الخصوص ، فكتب السيد "دي صال" مـــذكرة عنوانها (ملامح فلسفية ــ عراقة)، بحث فيها خصائص الشعوب وقد صار أســـتاذ للغـــة العربيـــة ورئيس كرسيها في مرسيليا، وهناك السيد "شارل بروسلار" الذي صار واليا على الجزائـــر العاصـــمة ومدير لشؤون الجزائر المدنية في باريس ، ألف عدة كتب منها كتاب عن الطرق الدينية الإسلامية فـــي الجزائر ، والسيد "غورجو" الذي كان محافظا ومفتشا لديوان ملكية الجزائريين من مؤلفاتـــه (شـــرائح الجزائر الثلاث) (وحالة الجزائر السياسية) ، والسيد "ليون روش" الذي تقلد عدة مناصب عـــسكرية وسياسية في الجزائر وخارجها له كتاب تحت عنوان (32 سنة عبر الإسلام) تحدث فيه عـــن جميـــع أعماله في الجزائر وتونس والمغرب والحجاز من سنة 1832م إلى سنة 1845م .

والسيد "شارل فيرو" الذي ملأ المكتبات بتأليفه ومقالاته اعتمد على الوثائق الرسمية العامة، ومنهـــا كتابه الذي اعتمدنا عليه في هذه الورقات ، وكتب أخرى خاصة بتاريخ مدن الشرق الجزائري ومـــدن

1ـ نفس المرجع ، ص 52،51 .
2ـ نفس المرجع ، ص 52،51 .
3 ــ نفس المرجع ،ص52 .
4ــ نفس المرجع ،ص52 .

الصحراء وملوكها ، والسيد "جول باريش" المترجم الرئيسي للجيش الفرنسي في الجزائر ألـف كتابـا خاصا للضباط المترجمين العسكريين وله مؤلفات أخرى [1].

وهناك السيد إسماعيل حامت (لعله حامد) مترجم رئيسي له عدة مؤلفات منهـا (مـسلمو شـمال إفريقيا الفرنسيون)، وكتاب (خمسة أشهر في المغرب الأقصى) ، وهناك من أفراد هذه الهيئـة مـن تقلد مناصب سياسية من القنصليات والوزارات وغيرها مثل "ليون روش" و"شارل فيرو" ومـنهم مـن صار ضابطا ساميا في الجيش الفرنسي مثل الجنرال "يوسف المملوك" ومنهم من برز في سلك الإدارة مثل "جيرا ردين" و"شارل بروسلار" ومنهم من أدرك رئاسة كرسي اللغة العربية في المدارس الشرقية مثل "دي صال" و"مارتان" وغير هذه المناصب كثير [2].

وفي نهاية هذه الفصل التمهيدي ، نعترف بان هذه الهيئة كان لها الأثر الكبيـر فـي فـتح أبـواب موصدة وطرق مسدودة في وجه التوغل الاستعماري، وذلك بلسان فصيح وقلم نابه وذكاء حاد ومكـر وجرأة لا مثيل لهما أذا هي هيئة جديرة بالاهتمام والدراسة الجدية العلمية والتركيز العميـق، خاصـة على حياة وأعمال أفرادها الذين ساهموا في استعمار الجزائر بالسيف والقلم ،وهو ما سـنقوم بـه فـي الفصول والمباحث القادمة من هذا البحث وهو أن نوجه الاهتمام والدراسة إلى احد أعضاء هذه الهيئـة بل من مؤسسيها البارزين ومن الذين لعبوا دورا بارزا في فترة بداية الاحتلال إلى غاية رحيلـه عـن الجزائر، وهو يقوم بالأعمال التي تصب في صالح المستعمر وهذا الشخص هو "ليون روش" .

1– نفس المرجع ، ص53 .
2- نفس المرجع - ص53، 54 .

الفصل الثاني : رحلة "ليون روش" إلى الجزائر .

1- "ليون روش" في الجزائر قبل التحاقه بجيش الأمير (1832ـ1837) :

" ليون روش" الذي سأتناول جانبا من حياته هو شخصية مغامرة، يمتلك ذكاء حاد وجرأة في نشاطه المستمر ،ومما سهل له الأمر هو معرفته الجيدة للغة العربية ،التي تمكن من خلالها من فهم ذهنيات و عادات المسلمين ،وأن يكون من الذين مروا على هيئة المترجمين العسكريين، والذين ساهموا في تقديم خدمات جليلة للجيش الإفريقي ،وزيادة على تلك الخدمات التي قام بها في مجال الدبلوماسية في المغرب على أحسن وجه .

ولد "ليون روش" في مدينة "غرو نوبل" بفرنسا في 27سبتمبر 1809 م الموافق ل 1224 ،من أبوين فرنسيين وتوفي في نفس المدينة في 26 جوان 1901 م الموافق ل 1319، بدا دراسته في ثانوية "غرو نوبل" وأتمها في ثانوية "تورنون" التي نال منها شهادة البكالوريا سنة 1828م الموافق ل 1244 ،كما دخل معهد الحقوق في "غرو نوبل" لمدة ستة أشهر، وكان واسع الطموح ميالا إلى المغامرة بعد أن انقطع عن الدراسة واتصل بأحد التجار بمدينة مرسيليا ، كان صديقا قديما لأبيه وقد كلفه هذا التاجر بمهمة تجارية مكنته من زيارة كل من كورسيكا وسردينيا وجنوه ، وقد كان عمره أنا ذاك واحد وعشرين سنة كما زار جل أنحاء ايطالية الشمالية[1].

وكان أبوه "روش الفونس" ملحقا بخدمات العتاد العسكري في الجزائر، وذلك منذ الحملة الفرنسية في شهر جويلية 1830 م الموافق ل: 1246هـ ،وقد اهتم بالعمل الفلاحي في ضواحي الجزائر وكون مزرعة في سهل متيجة ،ونظرا لتعدد مهامه كتب إلى ابنه "ليون" يطلب منه الحضور إلى جانبه ليساعده في الفلاحة بعد أن غاب عنه مدة أربع سنوات ،وقد لبى "روش" رغبة أبيه وغادر مدينة مرسيليا في منتصف سنة 1832م الموافق ل: 1248 هـ على متن باخرة فرنسية تحت قيادة السيدان "ماريون" و"لوقرا ند" وقد وصل بعد رحلة دامت اثني عشر يوما إلى ميناء مدينة الجزائر [2].

1 - Léon roches**. Trente deux ans a travers l'islam .t1 et 2**.paris، (1884 -1885) pp (7-9) .
2 - Marcel.emerit ، **(la légende de leon roches**), revue africaine .t9 1947 pp (81- 105) .-

واستقر في منزل أبيه في منطقة إبراهيم رايس وسط الأهالي الجزائريين وبقايا الأتراك والحضر على بعد ستة كيلومترات من مدينة الجزائر تقريبا وكانت مزرعته تتسع إلى 20هكتار، يقوم بخدمتها بعض الأهالي ولكي يساعد والده كان لابد على "روش" أن يتعلم اللغة العربية ،يقول "روش" انه اندفع إلى تعلم اللغة العربية ليستطيع التكلم مع فتاة جزائرية كان قد عشقها ،والأرجح انه كان مجبورا على تعلمها للاتصال مع الذين يعملون في مزرعة أبيه ،كان ملزما بذلك قبل التعرف على هذه الفتاة التي تدعى خديجة[1].

ولم يتأقلم "روش" مع البيئة الجزائرية إلا بعد مرور قرابة نصف سنة ، تعرف خلالها على إحدى النساء الحضريات ، تدعى نفيسة يقول "روش" أنها أرملة وكيل الحرج (وزير البحرية)، ما قبل الأخير لدى آخر دايات الجزائر[2].

وكانت تملك المقاطعة المجاورة لأبيه كان عمرها ستين سنة ، يقول "روش" أنها كانت تربطها علاقة حب قديمة مع احد الأوربيين فا حسنت استقباله ، فا صبح يزورها باستمرار ، كما كانت تحتضن ابنة وكيل الحرج.[3] الذي خلف ابنة من امرأة جرجية واسمها خديجة ، وهي تحسن القراءة والكتابة باللغة العربية ، هنا تعرف عليها "روش" وأحبها هذا بالنسبة لأول اتصالات "روش" بالأهالي ، أما عن اتصالاته بالأوربيين فيذكر انه قضى كل الفترة الواقعة ما بين شهر نوفمبر1832م الموافق 1248،وشهر أوت 1833م الموافق ه1249في الخروج إلى الصيد مع عدد من الضباط الفرنسيين، الذين ينتمون إلى فرقة القناصة كان قد تعرف عليهم بواسطة السيدين "ماريون" و"لوجراند" ألسابقي الذكر، كما تعرف على بعض ضباط البحرية أيضا [4] .

وفي منتصف سنة 1833م الموافق ل 1249 قدمه والده إلى كل من الدوق "دي روفيقو" [5]، حاكم الجزائر العام آنذاك و السيد "جانتي" مسؤول المصالح المدنية، والسيد "كوتان" رئيس بلدية الجزائر وفي هذا الوقت تم إنشاء هيئة الحرس الوطني ،فعين "ليون روش" برتبة ملازم في فرقة الفرسان الخيالة ، وكانت هذه الفرقة ترافق الجنرال في الحملات القصيرة التي كان يقودها في منطقة هضاب متيجة [6] .

---

[1] -Narcisse.faucon. **le livre d.or d.algerie, op.cit**. 1830 – 1889 paris .1889 .pp(473- 475).

2 – ربما اختلط الأمر على "روش" مابين وكيل الحرج والأغا ولذلك اعتقد انه يقصد إبراهيم 1829الى 1830 م صهر الدي حسين آخر دايات الجزائر 1818الى 1830 م، عينه الداي خلفا ليحيى أغا الذي شغل منصب الأغا مدة 12سنة ونفاه الدي بتهمة التدبير للاستيلاء على الحكم، وكان إبراهيم أغا ضعيفا لا يعرف خداع الحرب ففشل أمام القوات الفرنسية بقيادة "دي بور مون" في معركتي سيدي فرج وسطوا لي سنة 1830 م، فعزله الداي حسين وعين مكانه باي التيطري (منصب الأغا يعادل منصب رئيس القوات المسلحة) انظر : حمدان بن عثمان خوجة ،**المرآة** ،تعريب العربي الزبيري ، الجزائر 1975م ص:(183 -199) .

3- الظاهر أنها ابنة باي التيطري الذي خلف إبراهيم أغا ويستبعد أن تكون ابنة يحي أغا ،لان هذا الأخير لما عزل نفي إلى البليدة فمن الطبيعي أن يكون قد اخذ عائلته معه وذلك لكثرة أعدائه من كبار المسؤولين .

-4 - Emerit (la légende de leon roches …) pp (81- 105).
Roches. Op. Cit. .t.i pp (16- 20).

5– سياسي وعسكري فرنسي، ولد سنة 1774م في مارك استوفريار (إقليم الاردان)، شغل منصب الحاكم العام في الجزائر مابين 1831 م و1833 م، وتوفي سنة 1833م اثر مرض أصابه بباريس تميز حكمه با لعنف العسكري وسفك الدماء .

6 - Roches. Op. Cit. t1. Pp (22 – 27).

وحسب "ليون روش" فقد تعرف على رئيس مجلس قضاء الجزائر حين ذاك، فدعاه هذا الأخير لتناول وجبة الغداء معه ، فخرج "روش" من عنده متحمسا لتعلم العربية لهدفين أساسيين بالنسبة له، الأول ،هو التمكن من مساعدة أبيه في الاتصال بأجرائه في المزرعة ،والثاني التحاور مع عشيقته خديجة فدلته العجوز نفيسة على أستاذ مسلم جزائري الدار أندلسي الأصل، كان صديقا قديما لزوجها ، واسمه "عبد الرزاق ابن بسيط" ورغم أن الأستاذ لا يعرف اللغة الفرنسية و"ليون" يجهل العربية فقد استطاع هذا الأخير وفي مدة ثمانية أشهر حسب قوله أن يتكلم مع أستاذه باللغة العربية فأحبه لفطنته ، وسرعة ذكائه ولم يكتفي "ليون" بدروس أستاذه فقط ، بل راح يمرن لسانه على التكلم بالعربية في المقاهي الشعبية وحضور جلسات قضاء المسلمين، والخروج مع الفلاحين أجراء أبيه إلى الصيد ، فانطلق لسانه وصار يتكلم لغة الأهالي ويفهمها ، فقد عمت علاقته بهم ويقول "روش" انه راسل خديجة عن طريق أستاذه وزوجته ، بالاتصال مع مسعودة خادمة خديجة - وحسب رأي الدكتور يوسف مناصريه الذي يقول : « ' انه يستبعد تدخل الأستاذ في الموضوع لان اختراق حرمة رجل مسلم محرم في الإسلام خاصة إذ كان الأستاذ مسلما كما أكده "روش" بنفسه » **(1).**

ولم ينقطع "روش" عن زيارة العجوز نفيسة لعله يسمع عن أخبار عشيقته ، فتعرف في بيتها على احد الجزائريين يدعى "سيدي محمد بن عمر باشا" **(2)** .

وكان هذا الرجل (محمد بن عمر باشا)**(3)** في حاجة ماسة إلى وساطة لقضاء حاجة له عند الحكام الفرنسيين ، فساعده "روش" ونال بذلك صداقته وإخلاصه ، حتى أن ابن الباشا عرّفه على زوجته لالة عائشة وذكر "روش" أنها قريبة الحاج احمد باي قسنطينة ، ومن كثرة محبتهم واحترامهم له كانت ابنتهم تناديه (عمي ليون) **(4)**.

وتوطدت العلاقة حتى أن "روش" صار يقضي لياليه كلها ساهرا والى ساعات متأخرة من الليل مع "سيدي محمد بن عمر باشا" و"عمر أخيه" ، ولما توفي "عمر باشا" وترك زوجته حاملا ، حيث عند وضعها الحمل أطلقت عليه اسم عمر ، ولما قدمت اللجنة الأفريقية الأولى **(5)** .إلى الجزائر سنة 1833م (1249) لتبحث أحوال الجزائر وتقدم تقريرا للحكومة الفرنسية بعد عودتها ، وقد تلقى "روش" الأب

-1- تزوجت خديجة مع احد أثرياء مسلمي الجزائر فا خذها معه إلى مدينة مليانة انظر :
–Léon. Roches**. Dix ans a travere l'islam (1834. 1844**) préface de mcarraby. Paris. 1904 .pp 22 23 .
2– حمدان بن عثمان بن خوجة ، المرآة ص - (151 152).

3– كان أبوه عمر باشا قد حكم الجزائر في 1815 إلى سنة 1817 م خلفا للخز ناجي الحاج عمر باشا (حكم هذا الأخير يوما واحدا إثر مقتل الباشا علي غسول الذي دام حكمه من سنة 1809 إلى 1815م والذي قتله في أول يوم من حكمه وفي عهد عمر باشا تعرضت الجزائر لحملة إكسموث سنة 1816م انظر : عثمان خوجة **، المرآة** ص 151 ، 152 .

4 - Roches , . **Dix ans. t1** ,pp22 -27 : انظر

5- وصلت اللجنة الإفريقية الأولى الى الجزائر في 2 ديسمبر 1833م (1249) وكان هدفها هو جمع المعلومات التي تنير الحكومة الفرنسية عن حالة الجزائر الحاضرة وعن مستقبلها بالإضافة إلى الوفود المدنية والعسكرية في الجزائر و المستوطنين ، وقد استقبلت اللجنة الإفريقية وفود أعيان العرب الحضريين ، لتوضيح أهم مهمتها وكان رئيسها هو الجنرال بوني وكاتبها هو السيد بكساتوري النائب في البرلمان انظر : أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال الطبعة الثانية القاهرة ، صـــ 97.

زيارة بعض أعضائها وعلى رأسهم السيدان "بيسكاتوري" و"لورانس" ، وكان هذا الأخير مكلفا بتنظيم شؤون العدالة وحضر هذا الاستقبال الذي جرى في منزل "ألفونسو روش" بإبراهيم رايس ، عدد من الجزائريين ربما أن المناقشة كانت تدور باللغة الفرنسية ، فقد كلف "روش" نفسه مهمة القيام بالترجمة بين أعضاء اللجنة والعرب الحاضرين ، ونظرا لطلاقة لسانه فقد اعتقد أعضاء اللجنة أنه قدم من المشرق ، وذلك لأنه في بداية الاحتلال كانت فرنسا تستقدم المترجمين من الجيش المصري (مثل "ديلا بورت" والأب "زكار")وهو أمر تحدثنا عنه سابقا **(1).**

ويبدو أن عدم وجود مترجمين يحسنون اللغة العربية بلسان الجزائريين ، قد ساعد على تعيين "روش" ترجمانا محلفا للجنة من طرف السيد "لورنس" ، وذلك زيادة على أن القانون كان لا يعترف بأية اتفاقية أو تعهد يقع بين الأهالي والأجانب بدون حضور مترجم محلف بينهما ، كما كانت مهمة "روش" تقضي بشرح مصطلحات الملكية في الإسلام وتفسير الشروط المقترحة من الطرفين ، غير أن ما تعلمه من اللغة العربية لم يكن كافيا لأداء هذه المهمة على أكمل وجه ، فعمل على زيادة جهوده في تعلمها وإتقان مصطلحاتها ، وصار يقضي الليالي الطوال في فك ألغاز الأسماء العربية القديمة ، والمصطلحات الاقتصادية العقارية وغيرها ، ومما ساعده أكثر هو مساعدة أستاذه "عبد الرزاق" الذي سهل عليه تناول المفردات اللغوية المتعلقة بعلم القانون و الخصومات في الإسلام **(2) .**

وهنا تجدر الملاحظة أن "روش" لم يكن جديا في تعلم اللغة العربية وذلك ليكون هدفه الأول منها مغازلة عشيقته كما ذكر ، إلا بعدما عرف فوائدها المختلفة إذ فتحت له باب رزق لم يكن يحلم به أو يخطر على باله من قبل ، واغلب الظن أنه انه كان يدرك جيدا مدى حاجة البلاد إلى مترجمين قادرين ، وأكفاء على أن يكونوا الخيط الرابط بين الفرنسيين والأهالي ، فحرص على إبراز شخصيته أمام عضوي اللجنة الإفريقية السابقي الذكر ، كما أنه كان يتقاضى ما يزيد على ألف فرنك شهريا في مقابل المهام المريحة التي يقوم بها **(3).** المتمثلة في ترجماته والخدمات التي أسندت إليه ، فأستطاع حينئذ مساعدة أبيه في الناحية المالية أيضا ، لانجاز مشاريعه الفلاحية**(4)** .

---

1 --Roches**, Dix ansop.cit, p**p48 -51.
2 -Ibid, pp 50_51.
3- يوسف مناصرية،**مهمة ليون روش فى الجزائر والمغرب 1832، 1847م**(بدون طبعة،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1990) ،ص 17.
4-Roches, **dix ans ; op.cit**, pp 22,27.

وقد كان الجيش الفرنسي كله سنة 1832م (1248) عند وصول الدوق "دي روفيقو" إلى الجزائر يضم أربعة مترجمين لا غير جديرين بأداء مهمتهم ، ولما تم إحضار قنصل فرنسا من طنجة ، السيد "دي لابورت" ليشغل منصب المترجم الرئيسي الأعلى في جيش إفريقيا في الجزائر ، ويعطي دروس للمترجمين ومراقبة تقدم مستواهم ورفعه ، لاحظ السيد "دي لابورت" أن أغلبية المترجمين لا يعرفون القراءة والكتابة [1] .

ويبدو أن الضرورة والحاجة الماسة والملحة ، قد أدت إلى تعيين "ليون روش" في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الإفريقي من طرف المارشال"كلوزيل" نفسه سنة 1835م (1251ھ) وذلك لكونه ضابطا في فرقة الحرس الوطني وإتقانه للغة العربية أحسن من غيره [2] ، ولقد اصطحب " المارشال "كلوزيل" "روش في حملته على المدية 1836م (1252ھ) وهو ترجمان عسكر محلف ، وما إن بدا المارشال يتاخم ثنية موزاية حتى باغت العرب جيوشه ، فتصدى لهم النقيب "قاستي" (رئيس فرقة الصبايحية) ، فتغلب عليه العرب وهزموا جنوده،وسقط "جاستي" أو "قاستي" جريحا بين العرب،فغتاظ المارشال من هذا الوضع وأمر ضباطه السبعة عشر الذين يكونون موكبه ، بالهجوم عليهم وفك النقيب "جاستي" من قبضتهم،وكان "روش" ممتطيا جواده الأسود أول من وصل إلى النقيب "جاستي" فوجده ممدودا على الأرض وسيف أحد **العرب على رقبته ، وهو دامي الوجه لآن أحد الرصاصات اخترقت خديه فكسرت فكه،فلما انشغل العرب عنه بالحرب أردفه "روش" على حصانه ، ورجع به إلى المارشال ، فشكره هذا الأخير ورفع من شأنه**[3] .

وقد جاء في كتاب السيد "نرسيس فوكون" (كتاب الجزائر الذهبي) حديث للسيد "جاستي" ، الذي أصبح جنرالا فيما بعد يقر فيه بجميل "روش" وماله من فضل عليه بعدما أنقذ حياته ، كما يقول" ليون روش" أن المارشال "كلوز يل" أمره بأن يصحب الجنرال "ديمشال" إلى المدية ، كترجمان عسكري محلف فامتثل لأوامره ودخلوا المدية ولم يباشروا أية معركة ضد الأهالي ، فالتقى "روش" بأحد أصدقائه الجزائريين ، كان قد تعرف عليه في الجزائر عند "محمد بن عمر باشا" ، وكان يدعى "سيدي محمد "قائد البويرة فدعاه هذا الأخير لتناول العشاء معه ولما إستأذن"روش" الجنرال في ذلك[4] ،

1ــ كان أغلب المترجمين العسكريين في بداية الأمر (سنة 1832م) لايرغبون في مواصلة هذه المهمة، وكان عددهم واحدا وعشرين مترجما ، واحد منهم فقط يعرف الكتابة باللغة العربية ، ويتكلم قليلا اللغة الفرنسية ولما عجز "دي لابورت" أن يكون فكرة معهم ، قرر الجنرال "دي روفيقو" أنه ابتداء من أول جانفي 1833م أن المترجمين سيخضعون إلى امتحان عسير أمام لجنة نكون تحت رئاسة هيئة الأركان العامة ، فتم إبلاغ وزارة الخارجية التي أبلغت قناصل المشرق (فرنسا) أن يبلغوا النداء إلى كل من يريد الدخول في هيئة المترجمين في جيش إفريقيا أنظر :

Féraud, op. Cit. .

2 -Faucon .n, le livre d, or t1, pp473 -475
Emerit, (le légende …..) pp81 -105.

3 -Roches, dix ans, pp 22 -27.

4- يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832 ، 1847 م** ، ص18
انظر : Faucon **, le livre d,or** ,pp473-475.

وافقه شريطة اغتنام الفرصة لجمع المعلومات حول محمد بن حسين الذي رشحه الجنرال بايا مواليا لفرنسا في المدية ، خاصة وإن كان سيدي محمد قائد البويرة نائبا لهذا الباي ، ولما حضر محمد بن حسين في بيت قائد البويرة ،تحدثا في شأن تعيينه على المدية وكان ذلك بمحضر "روش" (1).

ومن هنا يثبت لدينا أن "روش" كان قد مارس الجوسسة قبل التحاقه بالأمير عبد القادر في شهر نوفمبر 1837م (1253) ولما عاد إلى الجنرال أخبره أن فكرة تنصيب محمد بن حسين بايا على المدية لاتخدم مصالح فرنسا ، ولا يتغير بمقتضاها الوضع السائد في هذه المنطقة أو الإقليم، لان الأهالي كلهم ساخطون عليه بل ستنجم عن هذه الاجرائات أتعاب كثيرة للباي نفسه ، كما سيسبب ذلك مخاطر للكراغلة حلفاء فرنسا في المنطقة ، وكان الباي محمد بن حسين كثير الاتكال على القوة الفرنسية لحمايته ، حتى أن الجنرال نفسه أحس بهذا الشعور ولما خلت المدية من سكانها ولم يبقى فيها إلا الكراغلة واليهود ، بذل الجنرال واسع جهده في إقناع الفارين وطمأنتهم فلم يفلح رغم القوات التي كانت معه والأسلحة التي وزعها على الكراغلة (2).

ولما فشلت كل محاولات الجنرال ، فوض "ليون روش" للاتصال بأحد قادة قبيلة وزرة الذين أتوا للقائه ، وعرف "روش" من القائد أن القبائل لا تريد لا الفرنسيين ولا الباي الذي عينوه ، ولما عاد المارشال "كلوزيل" إلى الجزائر ألغى مشروع تنصيب الباي محمد بن حسين على المدية وكذلك باي مليانة ، ثم أن المارشال كتب تقرير إلى وزارة الحربية ضمنه قائمة خاصة بضباطه الذين شاركوا في الحملة وكان اسم "ليون روش" موجودا فيها وذلك حسب قول "روش" ، ولكن هذه القائمة ليس لها وجود ضمن مراسلات المارشال "كلوزيل" التي جمعها السيد "جابريال ايسكير"في جزأين ، وأغلب الظن أنها تكون قد أرسلت كملحق لتقرير المارشال وهو ما دفع إلى عدم نشرها (3) .

وقد واصل "ليون روش" مهمته كترجمان محلف في الجيش الإفريقي ، وكانت أحداث الحملة على المدية قد رسخت في ذهنه خاصة حادثة النقيب "جاستي" ، التي شارك بسببها لأول مرة في معركة ضد الأهالي ، فخلفت لديه طموحات جديدة تجاه الحياة العسكرية ، وكانت أمنيته الوحيدة أن يكون ضابطا في الجيش ، وزادته تشجيعات الكولونيل "ماري" اندفاعا لتحقيق أمنيته وبلوغ مرامه (4).

---

1 -Roches ,32ans, t1, pp 52-58.
2- Ibid, pp 52-58.

3 - يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832،1847م**،ص19.

4 -Marey –Monge
جنرال فرنسي ولد في نويتش (فرنسا) في 17 فيفري 1796م ومات في بومارد (فرنسا) في 13جوان 1863م وقد كان ضبطا في المدفعية الفرنسية حتى سنة 1830م، وشارك بعدها في الحملة الفرنسية على الجزائر هذه السنة أنضم إلى فرقة الخيالة ، ونظم أول فرقة الصبايحية في الجزائر وترقى في رتبة جنرال سنة 1848 م ، كما شغل منصب الحاكم العام للجزائر مابين جوان ونوفمبر من نفس السنة ، ولم يوضح "روش" نوع التشجيعات ، والظاهر أنه يكون قد شجعه معنويا على الدخول في صفوف الجيش الفرنسي ووعده بتقديم يد المساعدة، انظر: يوسف مناصرية ،مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ...هامش ص19 .

وهو ما يثبت نيته في القضاء على الأهالي الجزائريين (روش) ، وليس كما يزعم لما ألتحق بدولة الأمير أنه رجل سلم ، يريد حضارة بلاده في الجزائر وصار "روش" يتساءل إذا كان سيدخل كضابط في فرقة الصبايحية التي تأثر بها وفتنته مغامراته مع النقيب "جاستي" وذلك في الوقت الذي كانت فيه عجلة الحرب تدور بين جيش الأمير والأهالي الجزائريين ،هذا من جهة والجيش الفرنسي من جهة ثانية ، وتذكر المصادر أن والده "روش ألفونسو" قد استطاع أن يلغي تعاقد ابنه مع الجيش الفرنسي **(1).**

وهنا تتبادر إلى الذهن الأسئلة لتالية : إذا كان أبوه قد استطاع أن يمنعه من أن يصبح ضابطا في الجيش الفرنسي لماذا لم يقدر على رده عن الالتحاق بدولة الأمير عبد القادر؟ ، هل كان لايريد الخير لفرنسا؟ ، ويفضله للأمير فوافق أو سكت على الأقل ، على أن يلتحق ابنه ليون "روش" بجيش أو دولة الأمير ليخدمه بدل فرنسا ، أم هل كان التحاقه بالأمير في ظل سلم معاهدة "تافنا" أنفع للبلاد فيجلب المعلومات عن أحوال الأمير السياسية والعسكرية والاقتصادية بدل من أن يلتق بالجيش الفرنسي فقتل أو يقتل **(2).**

وللإجابة على هذه الأسئلة يجب العودة إلى مراسلاته (روش) من معسكر الأمير في واد نوغة ، وتلمسان ،والمدية ، ومعسكر ، ومن اتصالاته مع القنصل الفرنسي في معسكر ، واتصالاته مع الفارين الفرنسيين الذين كانوا في خدمة الأمير فيما بين سنوات 1837 ، 1839 م (1253 ، 1255) وهي الفترة التي أقام فيها "روش" عند الأمير وهذا كله سوف نتطرق إليه لاحقا .

2- ليون "روش" داخل دولة الأمير (1837 -1839م) :

لقد كان على السلطات الفرنسية أن تعمل على إقامة السلم في غرب الجزائر ووسطها ، بعد مدة طويلة من الحرب الضارية ضد الأمير عبد القادر (حوالي سبعة سنوات) وأن تركز جهودها وتكثف قواتها العسكرية في الشرق الجزائري وذلك لنسيان الهزيمة الأولى في قسنطينة ، ومما أكد حتمية هذا السلم ، هو زيادة الخسائر المادية والبشرية ، واضطراب الحكومة الفرنسية وتخوفها من تصاعد الأزمة داخل مجلس النواب ، زيادة على فشل القوات الفرنسية في التوغل داخل البلاد ، لذلك شرع كبار العسكريين في إعداد حملة ثانية على قسنطينة **(3).**

بعدها قررت الحكومة الفرنسية إرسال الجنرال "بيجو" إلى الجزائر للتفاوض مع الأمير عبد القادر وعرض شروط السلم عليه ، وتم إعطاء "بيجو" كل الصلاحيات لتحقيق ذلك ، كما أن الأمير عبد القادر هو الأخر كان محتاجا إلى فترة هدنة لإخماد الفتن الداخلية وجمع كلمة المسلمين وتنظيم شؤون دولته

---

1 -Roches, 32ans, t1, pp52-58.

2- يوسف مناصرية ، **<u>مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832- 1847</u>**م ، ص 20 ،19 .

3 -Hnri.ideville, **<u>le maréchal Bugeaud d, après sa correspondance intime et des décuments inédits (1784-1849) t2</u>** paris, 1882 ; pp. 55-71.

Georges, yver. **<u>Correspondance du général damremont ; (1ere ; série, correspondance général</u>**, t 5 (1837), paris, 1927, pp .493 -494.

العسكرية والإدارية والمالية وإقامة علاقات خارجية لجلب السلاح والذخيرة ،فبدأ ت المفاوضات في أوائل سنة 1837م (1253)، وعقدت في الأخير اتفاقية سلم بين الأمير والجنرال "بيجو" نيابة عن حكومته في 30 ماي 1837م وعرفت باسم معاهدة " تافنا" [(1)].

وتظم هذه المعاهد خمسة عشر بندا جلها لصالح الأمير ، ومن بين بنودها : البند الرابع الذي ينص على السماح للمسلمين بالعيش أينما أرادوا ، ولهم الحرية المطلقة في الانتقال من دولة الأمير إلى الاماكن التي يحتلها الفرنسيون ، أو من هذه ألاخيرة للعيش تحت سلطة الأمير عبد القادر .

حينها قرر "ليون روش" الالتحاق بدولة الأمير - بمقتضى هذا البند - وبرر موقفه بعزمه على اعتناق الدين الإسلامي ، حيث غادر مقر أبيه بإبراهيم رايس واستقر عند شيوخ قبيلة بني موسى الذين كانت تربطه بهم علاقة سابقة، إذ كان يخرج معهم إلى الصيد خلال السنوات الماضية [(2)] .

ويقول "روش" أنه قرر الالتحاق بالأمير عبد القادر بهدف الوصول إلى عشيقته خديجة ، التي علم أن زوجها استقر بها في مدينة مليانة الواقعة تحت حكم الأمير عبد القادر، ولكن إذا كان فعلا يريد الاتصال بخليلته كما زعم ، فلماذا لم يختصر الطريق ويلتحق بصديقه عمر باشا وأخيه محمد؟ ، الذان يقيمان بمليانة وينظم من هناك اتصالاته كما شاء ، ويكون بذلك قد تجنب كل المخاطر والصعاب والمخاطرة بنفسه في الالتحاق بالأمير عبد القادر[(3)].

أما إذا صدَقنا قوله من أنه ذاهب إلى جانب الأمير لمساعدته في تنوير المسلمين وإطلاعهم على الحضارة الفرنسية فإننا نستنتج ، من ذلك أنه أراد المس بوحدة المسلمين وكسب ولاء ضعاف العقول والقلوب منهم إلى فرنسا ، والتباهي بالإنسانية وسعة المعرفة وسرعة الذكاء ، وهو دور كان قد قام به أيضا الدكتور" وارنيي" [(4)]،في مدينة معسكر لما كان يعالج مرضى المسلمين ، لا بهدف مداواتهم وإنما لكسب عاطفتهم لصالح الفرنسيين ، وأيضا بخلق الشقاق بينهم وتشتيت صفوفهم [(5)].

1- تافنا : إ سم لنهر بإقليم وهران يصدر من جبال بني سنوس ويصب في البحر المتوسط على بعد حوالي خمسين كلم أطلق اسمه على معاهدة" تافنا "30 ماي 1837 م بين الأمير عبد القادر والجنرال" بيجو" ، دامت سنتين (1837م 1839م) فقد نصها العربي فترجم الفرنسيون النص الفرنسي واعتبروه هو النص الأصلي ، أنظر : هنري تشرشل ، **حياة الأمير عبد القادر** ، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ، تونس .1974م ص 302، 303

2- يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش فى الجزائر والمغرب 1832م 1847م** ، ص 23 ، 24 .

3- Roches, 32ans, t1 .pp, 62-64 .

Emerit, (op. .cit.) .pp, 81 – 105 .

4- عندما عين النقيب"دوماس" قنصلا لفرنسا في معسكر ، في شهر نوفمبر 1837م ، كان الدكتور "وارني" بجانبه يساعده على أداء مهمته ويعمل على كسب عاطفة المسلمين ، ويجوب الحقول والقرى لمعالجة مرضاهم ، وقد كان من بين المرضى ابن الأمير عبد القادر، فنال" وارنيي" بذلك تعاطف المسلمين وإعجابهم ، انظر : Yver, correspondance, doumas.......

5- كتاب السيدة" تورين" (الاصطدامات الثقافية في الجزائر المستعمرة) والذي تتناول فيه تصادم الثقافة والطب الفرنسي بالثقافة والطب الجزائري من بداية الاحتلال إلى سنة 1880م ومنه نستخلص الطرق المنتهجة من طرف فرنسا لفرض ثقافتها على الجزائريين انظر :

Yvonne. Turin. **Affrontements culturels dane l, algerie coloniale .école médecines religion 1830-1880,** paris .f. masepero 1971 .

بعدها بدأ "روش" ينظم اتصالاته مع بعض الفرنسيين والجزائريين بهدف جمع المعلومات الكافية حول أحوال الأمير عبد القادر فاتصل بالملازم الأول "فيرجي" [(1)] قائد فرقة الصبايحية في مدينة بوفاريك ، كما رافقه إلى مدينة البليدة لحضور الحكم على بعض الجزائريين ،كانوا قد قتلوا أحد الجنود الفرنسيين ، وأظهر "روش" إسلامه أمام الحاكم لجلب نظره ، فاستضافه هذا الأخير عنده ، فاغتنم "روش" هذه الفرصة للاتصال بمرابط المدينة سيدي بلقاسم بن سيدي الكبير ، وأظهر له بصفته مسلما تخوفه من رجال حجوط لان يغتالوه كما فعلوا مع الجندي الفرنسي ، فوثق به المرابط على حسن نيته واستضافه في بيته ، فالتقى هناك ببعض المسلمين كانوا في ضيافة سيدي بلقاسم ، واستقبلوه بحفاوة لاعتقادهم انه مسلم ، وفي هذه الأثناء حضر رسول الأمير عبد القادر وأخبر سيدي بلقاسم ، بأن الأمير يريد بسط نفوذه على القبائل المقيمة في الشرق الجزائري ، التي لم تخضع بعد لسلطانه [(2)].

فتقدم "روش" حينئذ وأخبر سيدي بلقاسم أنه يريد الالتحاق بالأمير عبد القادر ، وبذل كل جهده لخدمته فاستبشر المرابط بكلامه ودعي له بالتوفيق وفرح به أشد الفرح ، وفي اعتقاده أن الله قد هداه من الكفر إلى الإيمان ، ففرح "روش" حينئذ واستبشر ببلوغ مراميه لان التحاقه بالأمير يعتبر عملا هاما في خدمة فرنسا ، فيكون بذلك قد بادر بمساهمة حسنة في تحقيق طموح بلاده [(3)]، خاصة وأنه ــ حسب قوله ـ ماعتنق الدين الإسلامي إلا ليدخل في وسط جيش الأمير ودولته ويقترب منه ليتعرف على أحواله ويجعل منه حليفا لفرنسا ، ويؤدي في الأخير إلى استسلام الجزائريين لها [(4)].

وفي شهر نوفمبر 1837م عاد "ليون روش" إلى أولاد سيدي موسى وحمل متاعه ، في طريقه إلى مليانة كما أن المرابط سيدي بلقاسم قد سلمه رسالة يطلب له فيها الأمان من مرابط الحجوط ، فسمح له بالمرور ووصل إلى مليانة حيث كان يقيم صديقه عمر باشا ، فاستضافه هذا وقدم له نصائح كثيرة عن كيفية سيرته وأوصاه بالحذر في تحركاته ، والفطنة في سلوكه لكي لا يجلب شكوك المسلمين حوله ، وقد فعل عمر باشا ذلك من أجل مساعدة "روش" للوصول إلى عشيقته وهو يعرف جيدا أن "روش" تظاهر باعتناق الإسلام إلا من أجلها [(5)].

1-" فيرجي شارل نيكولاس" ولد سنة 1809 م عينه الجنرال "فوار ول" سنة1833م برتبة رقيب في هيئة الصبايحية التي كان يقودها علال بن بوزيد قائد قبيلة بني خليل ، وبعد ذلك بقليل عينه برتبة ملازم أول انظر: العربي إسماعيل ، **سفارة الميلود بن عراش لدى الملك لويس فليب (خلفياتها ونتائجها)**، مجلة التاريخ ،عدد 6 جويلية 1978م، الجزائر.، ص 101 - 103 .

2-Roches, 32 ans, t1, pp, 70-75.

3- IBID. pp. 76 -79.

4- يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب1847،1832 م، ص 25.

5- مع العلم أن عمر باشا لم يكن يعرف نوايا روش الحقيقية ،وهي التجسس على المسلمين، ولكنه كان يبغض الامير (عمر باشا) لان الامير عبد القادر يعامل الأتراك معاملة سيئة.

في هذه الأثناء كان الخليفة محمد بن علال غائبا عن المدية، فاتصل "روش" بنائبه وكاتبه ، قدور بن رويلة ، وشرح له بأنه مسلم ويريد الالتحاق بالأمير ليقدم له خدماته ، وأهدى لـه مصحفا فاستبشر "قدور بن رويلة" بإسلامه ووعده أنه سيصحبه هو إلى معسكر الأمير، وسوف يطلب من الخليفة "محمد بن علال" أن يقدمه للأمير [1] ، هذا الأخيرالذي كان قد سار على رأس جيش إلى الشرق وعسكر على ضفاف وادي نوغة حيث إلتحق به "ليون روش"[2] .

وقد سأله خليفة الأمير محمد بن علال بطلب من (قدور بن رويلة) يطلب منه استقبال "ليون روش" كفرنسي اعتنق الإسلام ويريد الدخول في خدمته فقبل الأمير الدعوة، واستقبل لأول مرة "ليون روش" وأجرى معه حوار فأخبره "روش" أنه اعتنق الدين ألإسلامي بكل إخلاص، ويريد منه أن يسمح له بالدخول في خدمته ، وقال له أن مسلمي الجزائر قد أطلقوا عليه اسم عمر ففرح الأمير بإسلامه ، وطلب من قاضي معسكره أن يعلمه القرآن وتعاليم الدين الإسلامي ، وقال له أن المسلم الحقيقي لا يكفي بقوله أنه اعتنق الإسلام ، وإنما يجب أن يفهم ويعرف ما يجب أن يكون عليه المسلم المخلص الصادق في القول والعمل[3] وهنا بدأ "روش" يرتب أمور عمله لأداء مهمته الحقيقية كجاسوس ، وبدا يأخذ حذره من أن يتقن عملا لصالح الأمير ، ويرتكب بذلك جريمة في حق بلاده [4] ، فما كان عليه إذن إلا أن يشرع في جمع المعلومات ومراسلة الفرنسيين وتعريفهم بجميع أحوال الأمير العسكرية والسياسية وغيرها ، حيث بعث أول رسالة له من معسكر الأمير في وادي نوغة بتاريخ 19 ديسمبر1837م ، إلى أحد الفرنسيين ولم يذكر أسمه وأشار إليه بعبارة "صديقي " استهلها بإعطاء وصف دقيق عن شخصية الأمير ومناقبه ، ولباسه وأوصافه الجسمية والخلقية ، والدينية ، والثقافية ، وقال أنه رجل عادل يحترم تعاليم دينه، وان المسلمين يخضعون له بسبب احترامه الشديد لتعاليم الإسلام ، وسيره على نهج الخلفاء الراشدين .

ثم تطرق للحديث عن الحالة الاقتصادية والمالية والعسكرية ، فقال : أن موارد الأمير الاقتصادية منعدمة ، وحالته المالية سيئة وجيشه النظامي مفكك ومشتت وضعيف المعنويات ، وان سلطته جزئية ولم يعم نفوذه كل القبائل ، فقد خرجت عليه قبائل الجنوب قبل عقده معاهدة "تافنا " ، ولم تعترف بسلطانه ولم يبقى في يده إلا بعض قبائل الإقليم الوهراني[5].

---

1 -Roches, 32 ans, t1, pp. 80 -92.
2 -Ibid, pp, 101 -105.
3 Ibid, pp. 106 -159 .
Emerit, (la légende …), pp ,81-105 .
4 -Roches, 32ans, t1. Pp, 160 -163.
5- يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ، 1832 -1847م**.... ، ص 26 .

ومن الناحية السياسية قال "روش" أن الأمير لا يرى في معاهدة" التافنا " ، إلا فترة سلم تمكنه من تجهيز نفسه للدخول في الحرب من جديد ، وأن نفوذه ازداد خلال السنة وذلك في الأشهر الأولى منها (من شهر جوان إلى شهر ديسمبر 1837م) وتوسع نفوذه وأصبحت سلطته معترفا بها من الحدود المغربية إلى حدود إقليم قسنطينة ، وأن الأمير قد شرع الان في جمع الضرائب والأموال لبناء أركان دولته [1].

وفيما يخص التنظيم الإداري ، أخبر "روش" صديقه أن الأمير عبد القادر قسم دولته إلى ثمانية أمارات وعين على كل واحدة خليفة له ، وأعطى تفاصيل حول تقسيم كل إمارة وكيفية توزيع القبائل التابعة لها ، كما فصل في رسالته إلى صديقه كيفية جباية الضرائب والزكاة والعشور ، أما عن موقف المسلمين من استعمار الفرنسيين للمدن الساحلية ، فقال أن رأيهم مجمع على أنها تحتل الساحل بصفة مؤقتة وأنه سيتم جمع المال لشراء كل المدن ويرجع الفرنسيون إلى بلادهم وتسود سلطة الأمير عندئذ كل بلاد أفريقيا [2].

واصل "روش" مهمته كجاسوس وكشف للفرنسيين عن أسرار الأمير العسكرية والاستراتيجية ، وقال أن هدف الأمير الأساسي من هذه الجولة هو بسط نفوذه على قبائل شرق البلاد ، ومن ثمة جمع الضرائب وتقوية ميزانية الدولة ثم شرح، لصديقه كيفية محاربة الأمير للقبائل في وادي الزيتون انطلاقا من معسكره في وادي نوغة [3] ، وكيفية انتصاره عليهم في الأخير وذلك راجع لدقة أوامره وتنظيم جيشه ، وأعرب له في الأخير عن رأيه في معاهدة "التافنا"، وقال : "أنه لا يجب عقد أي سلم مع هؤلاء العرب المتبربرين" [4].

وأكثر من ذلك فقد ظهر "روش" على حقيقة أمره ، كجاسوس عندما راسل النقيب" دوماس" قنصل فرنسا في معسكر يقول له أنه مالتحق بالأمير عبد القادر إلا خدمة لفرنسا بلاده وأنه سيفارقه عندما يستأنف الحرب ضد فرنسا وكان ذلك لما أوفده الأمير إلى مدينة تلمسان مرورا بمدينة معسكر ليتعلم القرآن وتعاليم الدين الإسلامي [5] ، وأثناء إقامته في تلمسان شك فيه المسلمون واعتبروه جاسوسا فرنسيا فوضع عليه الخليفة البوحميدي عيونه ، ولما أحس "روش" بذلك حاول الفرار إلى مدينة وهران ، ولكنه فشل في الأخير [6].

1- المرجع نفسه ، ص 26 .

2- Roches, 32ans, t1, pp, 164 -167 .
Ideville, correspondance Bugeaud, t2, pp 83-85 .

3- محمد بن عبد القادر الجزائري ، **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، ج1 ،ج2** ,تعليق د.ممدوح حقي الطبعة 2 . 2007م بدون مكان ص 195 ، 196 .

4 -Roches, 32ans, t1, pp.77-79.
5 -Yver, correspondance du capitane doumas, pp 50 -53.
6 -Roches ,32ans, t1, pp 205 _212.

ولما قرر الخليفة إعدامه بادره "روش" ـ تحت قناع الإسلام ـ وأنه مسلم لا يجوز قتله إلا بأمر من السلطان و أنه مافر إلا لقساوة معاملة الخليفة البو حميدي له ، فعفا عنه الخليفة وقرر إرساله إلى الأمير ـ خاصة وأن رأي مجلس الخليفة كان في صالح "روش" ـ كما أن "روش" بعث برسالته الثانية إلى صديقه في شهر فيفري1838م فصل له فيها النظام الإداري والعرفي الذي كانت تسير عليه قبائل غرب البلاد ، وشرح له ما عرفه عن الأحوال الاجتماعية والعسكرية، والدينية والاقتصادية ، والثقافية ، التي كان يمارسها الأهالي [1] .

وكان "روش" يعلم جيدا أن الدين الإسلامي يعدل بين الناس جميعا ، ولا يفرق بين سائد ومسود فما إن وصل إلى مدينة المدية في أوائل شهر افريل 1838م وحضر أمام الأمير حتى بكى له واشتكى من ظلم وجور الخليفة" البوحميدي " ورجاله، وسوء معاملته له وأنهم اعتبروه كافرا وليس مسلما ، أتى في خدمة الأمير لنصر الحق على الباطل ، وإظهار النور على الظلام ، ولعب "روش" على سذاجة الأمير [2] ، وقال له " هكذا يستقبل مسيحيا اعتنق الإسلام بإرادته " ثم بالغ في التضرع فصدقه الأمير ووعده أنه سوف لن يتركه يفارقه أبدا [3] .

واستطاع "روش" بعدها أن يحقق هدفه ويبلغ مناه ، ويقترب من الأمير ويطلع على جميع أسراره خاصة بعد أن عينه الأمير كاتبا مستشارا له ، واتخذه رفيقا وكلفه بمراقبة مسائل جيشه النظامي وملابسه وأجوره وولاه مهمة تسجيل أسماء القبائل كلها وحصر أسماء شيوخها حتى يتمكن من جمع الضرائب بدقة ، ولما عاين المسلمون ما وصل إليه "ليون روش" من رتبة ، آمنوا جانبه وأصبح الأمر طبيعيا بالنسبة لهم خاصة بعدما قربه الأمير منه ، فكثيرا ما أسلم الكفار في عهد "الرسول صلى الله عليه وسلم " ، واخلصوا الإيمان كما ازدادت ثقتهم فيه وتيقنوا من إيمانه خاصة بعدما رفض الرجوع مع أبيه إلى الجزائر لما طلب منه ذلك عند زيارته للأمير في منتصف شهر ماي 1838م [4].

1- يوسف مناصرية مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1847م -1847م ، ص 27، 28 .

2ــ تظهر سذاجة الامير والمسلمين في معاملتهم" لليون روش" ، خاصة عندما استقبله الامير لأول مرة وصدق كلامه ، ولم يضع عليه أي مراقبة فصار "روش" يختلي بنفسه ويحرر رسائل للفرنسيين ، بل أن الامير أمر بتعليمه القرآن لثقته فيه وحتى لما حاول الفرار من تلمسان بسبب شكوك المسلمين في إسلامه وتقابل مع الامير بعد ذلك ولم يأخذ الامير حذره منه بل قربه وجعله أمين سره ، وصدقه جميع المسلمين حتى الذين كانوا يشكون فيه من قبل ، ولعل الامير كان قد قرب "روش "منه ليستفيد من خبرته في الجيش الفرنسي ويعلم منه الأسرار العسكرية وغيرها أنظر : يوسف مناصرية **، مهمة ليون روش** ... ص 74 .

3 -Roches, 32ans, t1, pp 245-253 .

يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائ**ر...ص 28 .

4 -Emerit, la légende …pp 81-105 .
Yver, **correspondance doumas**, pp 201 ,202.

وكان الأمير قد ترك له حرية البقاء أو الذهاب فاختار البقاء إلى جانب الأمير ، فظن المسلمون انه رفض العودة لكونه مسلما لايريد الرجوع تحت حكم الكفار[1]. بعدما صفا الجو "لروش" وسهلت مهمته وتيسر له الأمر في جمع كل ما يحتاجه من معلومات ، خاصة إن كان المسلمون قد وثقوا فيه وأصبحوا يبوحون له بكل إسرارهم ، ويعتبرونه ساعد الأمير الأيمن ، وكان "روش" يحضر حتى مجالس الأمير السرية التي كان يعقدها مع كبار رجال دولته ، أمثال مصطفى بن التهامي وغيره ، كما حرص الأمير على تعليم "روش" أمور دينه ، فعكف على دراسة اللغة العربية والتعمق فيها ، وسجل معلومات كثيرة حول كيفية جلب الضرائب بمختلف أنواعها وكيفية توزيعها على القبائل [2].

وقد كان الأمير يأخذه معه أين ما ذهب وينفق عليه من بيت مال المسلمين ، بهدف تنويره بتعاليم الشريعة الإسلامية ، ولكن كان ذلك عملا بدون مردود ومجهودا في غير موضعه ، لأنه كان يواجه عدو في ثياب مسلم ، وهو أخطر أشكال المواجهة والفائدة الوحيدة التي كان يجنيها الأمير من "ليون روش" هي قراءة هذا الأخير للصحف الفرنسية وتلخيص ماجاء فيها للأمير باللغة العربية ومن يدري هل كان فعلا يخبره بمضمونها الحقيقي ، أم كان يفتري عليه مكرا وخداعا [3] .

كما خرج "روش" مع الأمير في حملته على عين ماضي بتاريخ 12 جوان 1838م [4] ، وقد كان الأمير عزم بعدما جمع كلمة المسلمين في الشرق عليه التوجه إلى الجنوب ، لإخضاع قبائل الصحراء وتنظيمها تحت سلطانه ، وكانت الطريقة التجانية [5] ، هي المسيطرة في هذه الإنحاء ومركزها عين ماضي ، وكان الأمير يعامل صاحبها سيدي محمد بن سيدي أحمد بن سالم التجاني معاملة المرابطين ، ولكن شاء القدر أن يعثر الأمير على رسالة للتجاني بعثها إلى أهل الاغواط يستنفرهم ضد الأمير ، مع رسائل أخرى إلى الحاكم الفرنسي في الجزائر يقول له فيها " ... أنت اشغل الحاج عبد القادر من تلك الجهة البحرية وأنا أكفيك أمره من جهة البر .... "[6]

---

1 -Roches, 32ans, t1, pp 257-263

. انظر: أدريان بير بروجر ، **مع الأمير عبد القادر (رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة) ، 1837-1838م** ، ترجمة وتعليق ابو القاسم سعد الله ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954م جانفي ، برج الكيفان ، الجزائر.

.Yver**, correspondance doumas,** pp 201 ,202

2 -Roches ,32ans, t1, pp 273 -283.

3 -Yver , **correspondance doumas** ,pp 222 -225 .

4ـ محمد بن عبد القدر الجزائري ، مرجع سبق ذكره صـــــ 306 -311 انظر كذلك:

Roches, 32ans, t1, pp, 295 .

5- التجانية طريقة دينية أسسها سيدي احمد التجاني مابين سنة 1737م 1815م مركزها عين ماضي ، انتشرت تعاليمها في كل من المغرب وإفريقيا السوداء والحجاز وتركيا ، وكانت حليفة لفرنسا حتى أن حفيد الشيخ سيدي احمد تزوج من الفرنسية" اوريلي بيكار" سنة 1872م ولها مركز ثاني في تماسين قرب مدينة تقرت ويقع مركز عين ماضي على بعد 72 كلم غرب الاغواط أنظر : **تاريخ الجزائر الثقافي** لابو القاسم سعد الله ، دار الغرب الإسلامي الجزء 4 ، 5 .

6- رسالة الأمير عبد القادر إلى وكيله في المغرب أنظر :

Georges Yver, (**Abdelkader et le Maroc en 1838**), revue africaine, n 60, (1909) pp 93 -111 .

ولما وصل الأمير على رأس جيشه إلى دوار اولاد البيضة ، واتته قبائل الصحراء من كل فج ، وتجمعت حوله،ثم أوفد عشرين فارسا وعلى رأسهم "ليون روش" ، لإبلاغ التجاني أن الأمير لايريد من هذه الحملة إلا جمع كلمة المسلمين وإعدادهم للجهاد في سبيل الدين الإسلامي ، ولكن التجاني كان يرى في نفسه ، أنه أحق بحكم المسلمين من الأمير فجمع قواته وتمركز في قصره بعين ماضي [(1)] ، ويقول "روش" أنه هو الذي طلب ذلك من الأمير وانه أراد أن يبرهن له على صدق إيمانه .

والظاهر أن "روش" قد قبل القيام بهذه المهمة لعلمه بولاء التجاني للفرنسيين خاصة بعد ما اطلع على الرسائل التي وجهها التجاني إلى المارشال " فالي " ، والتي وقعت في يد الأمير ولذلك ألح "روش" على الأمير في إفاده للتجاني ، وفي نيته أن هذا الأخير سوف لن يؤذيه خاصة إذا عرف أنه فرنسي ، ومن ذلك يكون "روش" قد كسب ثقة الطرفين [(2)] .

وعوضا أن يؤدي "روش" مهمته الحقيقية في تحسين الوضع بين الأمير والتجاني عمل على تحريض هذا الأخير على الأمير ، وقال له إن حصانة قصره هي قوة رهيبة في وجه الأمير وستكون له حاجزا صعب المنال ، وفي نفس الوقت خوفه وحذره من مواقف الأمير الصلبة، وأنه سوف يحاصر المركز ولو لمدة عشر سنوات [(3)].

ونستنتج من ذلك أنه بعث أملا كبيرا في نفس التجاني الذي ظن فعلا أن حصنه يحميه من الهجومات الخارجية ولم يذكر "روش" للتجاني أن الأمير لايريد الاستلاء على مركزه وإنما هدفه الوحيد هو جمع كلمة المسلمين لاستئناف الجهاد ضد الكفار ، ومن هنا يكون "روش" قد زاد النار حطبا وبلغ بذلك هدفه الاسما وهو إضعاف قوة المسلمين ، وتشتيت رأيهم [(4)] .

وبعد أن قوى "روش" عزيمة التجاني على محاربة الأمير ، عاد إلى هذا واخبره أن التجاني متصلب في رأيه ، وان له ثقة كبيرة في حصنه ، وذكر له انه جمع مايكفيه لتموين رجاله لعدة سنوات ولما باشر جيش الأمير المعركة كان "روش" يعلم جيدا أن الأمير سوف ينتصر لامحالة ، ويتمكن من جمع كلمة المسلمين ضد فرنسا ، فعمل على إضعاف قوته وطلب منه أن يجعله على رأس الكراغلة ، لعلمه أن معظمهم يبغض الأمير ، فلم يظهر لهم "روش" ذلك ولكنه عمل على تبذير الذخيرة وتركهم يطلقون الرصاص في غير موضعه ، بدل أن يراقب ذلك بكل دقة [(5)] .

---

1 -Arnaud, (**siège d,ain madhi , par el – hadj Abdelkader ben mohi –ed-din**) <u>revue africaine</u> , n 43 (1864) , pp 354-371 et 435 – 453
2 -ibid. pp354-371.
3 -Roches, 32ans, t1, pp 300-302.
4– يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر** ....،ص 30 .
5 Roches ,32 ans, t1, pp 306-315 Yver, **correspondance doumas,** pp 654-659 .

ولم يكتفي "روش" بهذه العملية التخريبية بل تعداها إلى مراقبة الفارين الأجانب الذين اخلصوا العمل للأمير ، فأمر احد الفارين الفرنسيين يدعى " إيزدور " بمراقبة الهارب المجري الذي يقول انه كان يحمل اسم حسن ، وان لايتركه يفعل مايريد، طلب من الأمير أن يلحقه بفرقة الكراغلة ، ليكون تحت مراقبته المباشرة (1) .

ولولا الذخيرة التي وصلت إلى الأمير من وكلائه في المغرب وتلك التي أرسلها له المارشال "فالي" ، طبقا لنصوص معاهدة "التافنا "، لانهزم الأمير فعلا بسبب ضعف قواته ونفاذ ذخيرته ولم يتفطن الأمير لمخادعة "روش" ، فعامله معاملة حسنة وارتفعت قيمته عنده ، أكثر من ذي قبل (2) .

ويقول "روش" أنه مرض في هذه الآونة وأن الأمير كان يرعاه رعاية الأم لطفلها وبعدما تم الاستلاء على مركز عين ماضي منحه الأمير وسام" الريشة " اعترافا منه له بالمجهود الذي بذله خلال المعركة ، وفي رسالته إلى المارشال "فالي" نوه الأمير بالدور الذي لعبه "روش" في هذه الحملة (3) .

ومما يؤكد لنا مهمة "روش" كجاسوس فرنسي ، اتصالاته مع النقيب "دوماس" في منتصف شهر ماي 1839 م ، إذ اخبره أن الأمير يهدف من وراء زيارته لقبائل شرق البلاد ، إلى تفقد قواته قبل استئناف الحرب من جديد مع فرنسا ، وانه سوف يواصل رحلته نحو الشرق ويزور القبائل القاطنة على الحدود التونسية ، وأن هذه الأخير كانت قد كاتبته تطلب حضوره عندها لمبايعته (4) ، وعن موقف الأمير من المحافظة على السلم ،اخبر "روش" النقيب "دوماس" أن الأمير يريد السلم على الأقل لمدة قصيرة تمكنه من جمع الضرائب وتعويض خسائر عين ماضي، وان يتمكن الناس من جمع حصادهم وتعطي مصانع الأسلحة ثمارها ، ومن اجل ذلك فإن السلم بالنسبة للأمير أمر ضروري يجب المحافظة عليه مإستطاع ، وأما إذا أراد المارشال "فالي" شق الطريق ليربط بين قسنطينة والجزائر فإن الأمير سوف يعلن الحرب لامحالة واستمر يقول أن الأمير كاتب كلا من الملك ،" لويس فليب" ، ووزير الحربية ، وأعضاء مجلس النواب الفرنسي يطلب المحافظة على السلم وذلك لان وكلائه ، ميلود بن عراش وبن دران وبو ضربة ، أكدوا له أن المارشال" فالي" مصمم على نقض المعاهدة وإدخاله على نصها بنود إضافية (5) .

---

1 -Roches ,32ans, t1, pp303 -310.
2 -ibid., pp, 320-327.

3-يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب**... صــــ 3.
4-رسالة النقيب دوماس بتاريخ 28ماي 1839 م أنظر Yver, **correspondance doumas** pp 477
5-محمد بن عبد القادر الجزائري ، مرجع سبق ذكره صــــ 355-361 انظر كذلك :
. Roches, 32ans, t1, pp, 370 -371.
Yver, **correspondance domas** , pp 479-480.

وأكد "روش" للنقيب "دوماس" في أخر محادثته معه انه سوف يبذل أقصى جهده في خدمة بلاده ، ويعمل على رعاية مصالحها بكل الوسائل الممكنة فنبهه " دوماس " إلى استغلال نفوذه على الأمير في أداء واجبه (1) .

وفعلا هكذا بدا "روش" بالاطلاع على أماكن الأمير الإستراتيجية ، لتخريب مواقعها وذلك أنه طلب من الأمير أن يمنحه مهمة تفتيش مصانع الأسلحة المتمركزة في مختلف المدن ، وبلغ مراده وقضى أشهر مارس ، أفريل ، ماي ، جوان ، 1839م في تفتيش مصانع الأسلحة والذخيرة وكل المؤسسات الأساسية ، وعمل على تحطيمها بدليل أنها لم تنتج شيا يستحق الذكر ، منذ نشأتها واغلب الظن انه عمل على تخريبها بمساعدة الفارين الفرنسيين ،الذين كانوا في خدمة الأمير وهم المكلفون بإدارة هذه المصانع وتسيير شؤونها ، وقد كانت تربطه بهم علاقة وثيقة حتى أنه تدخل لصالحهم لدى النقيب "دوماس" ، حيث راسله يطلب منه أن يبلغ رسائل العمال الفرنسيين الموجودين في تاقدامت إلى أهلهم (2).

وأكثر من ذلك وهو دليل قاطع ، فلقد توقف عمال مصانع تاقدامت الفرنسيين عن العمل بعد قرار مجلس الأمير لاستئناف الجهاد ضد العدو " وكانوا ينتظرون "روش" بفارغ الصبر " (3) ، ويقول "روش" أنه لما التقى بالأمير في شهر أكتوبر 1839م في مدينة تاقدامت ، أخبره "روش" أنه انشأ مصنع للأسلحة في "تاقدامت" ويقول أيضا انه وضع فيها الأسلحة على أنها من إنتاجه ، ولكن في الحقيقة حسب قوله ـ أن المصنع كان لا ينتج شيئا ذا معنى وإنما وضع فيه الأسلحة لمخادعة الأمير فقط (4) .

ولما أعلن الجهاد وبدأت التجهيزات ، وكان الأمير في تاقدامت كما أنفنا ، والتقى مع "روش" فسأله عن موقفه من استئناف الجهاد ضد العدو ، فلم يملك "روش" نفسه حينئذ وأعلن له أنه لا يريد مقاتلة فرنسا الأم التي تحمي إخوانه ولما أكد له الأمير انه كمسلم يجب أن يعادي أعداء الله ، انفجر "روش" في وجه الأمير وأعلنها له صراحة انه لم يكن مسلما أبدا ، فحاول الأمير تهدئته لظنه انه منفعل فقط ، بعدها ترك الأمير "روش" وشأنه وربما ليفاتحه في الموضوع مرة أخرى ، ولم يعط للموضوع أهمية كبيرة ، حتى انه لم يخبر احد بما بدر من "روش" ، وقد سافر الأمير في نفس الأسبوع إلى تلمسان لتنظيم شؤون دولته دون أن يترك أية أوامر تخص روش ، قرر "روش" العودة إلى الجيش الفرنسي وانتهز فرصة غياب الأمير ، وأخذ كل ما يحتاجه وتوجه نحو مدينة وهران ،وخادع المسلمين بقوله أن الأمير قد بعثه في مهمة إلى مدينة مليانة ليتفقد مصانع الأسلحة ، وذلك ليتجنب متابعتهم له إذا علموا بحقيقة أمره (5).

1-Yver, **correspondance doumas**, pp 479 -480.
2 -Roches ,32ans, t1, pp 374-384 et Yver, **correspondance doumas**, pp 478.
3 -Roches, 32ans, t1, pp 384-388.
4 -Ibid, pp 388-389.
5 -Ibid, pp 390- 391.

ومن بين الوثائق التي اقر "روش" انه أخذها معه ، خريطة "جغرافية الجزائر " كان قد احضرها ميلود بن عراش وجهاز بوصلة وخاتمه بصفته كاتب الأمير، وعدد من الرسائل استعملها في شكل برقيات ليخادع بها كل من يعترض طريقه ، ولما وصل إلى منطقة معسكر وتلمسان أخبر من اعترضه من الأهالي أنه ذاهب في مهمة إلى هاتين المدينتين ، بأمر من الأمير فساعده المسلمون لذلك ـ على معرفة المواقع ـ ولمًا دخل إقليم وهران التقى ببعض المسلمين فاستوقفوه (1) .

فأظهر لهم بعض الرسائل عليها خاتمه ،وقال أنه يحملها إلى وكيل الأمير في وهران ، كما سلم لهم تذكرة باسمه أثبت فيها أقواله ، وقد استطاع "روش" بعد ذلك أن يصل إلى مركز الجيش الفرنسي ، في الكرمة صحبة رفيقه "إزدور" وانتقل من هناك إلى مقر حاكم إقليم وهران(2) وهكذا يكون "روش" قد التحق بجيش الأمير في فترة كانت فرنسا تجهز نفسها إلى حملة انتقام واحتلال قسنطينة في 27 أكتوبر 1837م وفي هذه الآونة بالذات ، التحق "روش" بالأمير عبد القادر ليتجسس عليه ويلعب على ذقون المسلمين، باسم الإسلام فانخدعوا له وأطلعوه على جميع أسرارهم ومصادر قوتهم ، فألم بما فيه الكفاية وبلغ مراميه وياليته اكتفى بذلك فقط ، ولم يعمل على تخريب منشآت الأمير الصناعية والحربية التي كان المسلمون يضعون فيها أملهم ويتوقعون بواسطتها انتصارهم على العدو ، واهم نقطة اطلع عليها "روش" الجاسوس هي مصدر قوة المسلمين ومنبع حيويتهم المتمثلة في تمسكهم بدينهم ، فلقد كان المسلمون في الجزائر لا يملكون الأسلحة الحديثة ، ولا الذخيرة والمصانع الحربية المتطورة ، ولا أموال طائلة على الأقل لشراء كل ما تحتاج إليه الحرب من تجهيزات ، وإنما كان التمسك بالدين هو القلب النابض عند جميع المسلمين غير أن نقطة ضعفهم كانت تكمن في اختلاف الطرق الصوفية التي كانوا يتبعونها. وقد عرف "روش" كل ذلك واطلع على أدق أمور المسلمين وعاد إلى الحكام الفرنسيين في وقت كانت فيه فرنسا في أمس الحاجة إلى مثل هذه الأخبار الدقيقة ، النادرة التي كان محرما عليها معرفتها (3) .

وختاما لهذا الجزء نقول أن "روش" أفاد بلاده سواء كان قد التحق بالأمير من تلقاء نفسه أم كان بإيعاز من الضباط الفرنسيين ، وعلى كل حال فلقد جازته فرنسا خير الجزاء وقلدته رتبا هامة في الجيش ، كما كلفته بمهام أشد خطورة على المسلمين من التجسس عليهم وخولته مناصب حكومية عالية وهو الأمر الذي سنتعرف عليه في الأوراق والفصول اللاحقة بإذن الله .

1- يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب** ...،ص 33-32.

2 -Roches, 32ans, t1, pp, 393-409 .
Roches, dix ans …, pp202-200 .
Emerit, (la légende …), pp 81-105.

- 3- يوسف مناصرية، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب** ....، ص 34.

3- عودة ليون روش إلى الجيش الفرنسي (1839م – 1844م) :

لمعرفة حقيقة "روش" علينا مقارنته مع الفرنسي الذي أخلص للأمير عبد القادر وهذا الجندي هو " مونسيل "احد الفرنسيين الذين تم الحكم عليهم بالإعدام وذلك وفقا للقانون الفرنسي [1] ، وذلك من طرف المحكمة العسكرية في شهر أكتوبر 1837م (1235هـ) ، وذلك لأنه قدم خدمات للأمير عبد القادر . كما أن بعض الكتاب الفرنسيين يعتقدون أن" ليون روش" قد أخلص في خدمته للأمير، وان الفضل يرجع "لروش" في إنشاء مصانع الأسلحة والذخيرة وتطويرها ، وتنظيم الجيش وتجهيز القوات الإسلامية للأمير ، وتغيير النظام الداخلي والإداري لدولة الامير [2] ، بل أنه وصل إلى درجة أنه اثر على علاقة الامير الخارجية مع فرنسا ، ومن ذلك انه عمل على إفشال مهمة الرائد "دي صال" مبعوث المارشال "فالي " سنة 1839م (1255هـ) [3] ، كما قدم نصائح إستراتيجية كثيرة للأمير عبد القادر، فاقترح عليه أن يغير عاصمته من مدينة معسكر إلى مدينة سعيدة ، ليتوسط مواقع القبائل ومن هنا يستطيع السيطرة عليهم فيجمع بذلك كلمة المسلمين ، وتسهل عملية جمع الضرائب وبناء أسس دولته بحيث يكون بعيد عن مشاغبات الفرنسيين ، كما أن هؤلاء الكتاب الفرنسيين خرجوا بنتيجة في نهاية نقاشهم حول" ليون روش" بقولهم أن "روش" قد أنكر شخصيته الفرنسية نهائيا ، ولم يعد يفكر إلا في بناء مستقبله مع الامير [4]

وإذا صدقنا كل هذه الأدلة التي تم اكتشافها ضد ليون روش وكلها تدينه ألا يستحق أن يتم إعدامه أم أن الأدلة غير كافية ؟، أم أن في الأمر شيء آخر مريب قد عودنا عليه الفرنسيون؟ ،إن الشخص الباحث الحقيقي والموضوعي إذا حقق النظر جيدا في نظام الامير العسكري والإداري وجميع الأسس التي وضعها لدولته الناشئة الفتية ، يلاحظ أن الامير استمد كل ذلك من النظم الإسلامية في العهود الزاهرة ، لما كان الفرنسيون بل حتى الأوربيون عامة يعيشون في عصور الظلمات وإذا اعتقد الفرنسيون أن تنظيم الفرق العسكرية و تقسيمها إلى فصائل ، وكتائب وفيالق قد اقتبسه الامير من التنظيمات العسكرية الفرنسية بإيعاز من "روش" ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه هو من أين هذا "لروش" ذلك الضابط الشاب الذي كان عمره لا يتجاوز الثلاثين [5] .

1- هذا الجندي حضر مع الامير اجتماع هو وبعض الضباط الفرنسيين بقيادة الجنرال " إينارد " ، وتنكر "مونسيل " على بني جلدته باللباس الإسلامي ، فلم يعرفه الفرنسيون واخذوا في مهاجمة المسلمين بلسان فرنسي ، وفي نهاية الجلسة كشف مونسيل عن نفسه للفرنسيين فتخوفوا من أن يخبر الامير بما بدر منه فتم إعدامه لما وقع في أيديهم والظاهر ان مونسيل لم يخبر الامير بما قالوه لان الوفد عاد سالما دون إهانة انظر :

- Mercele Emerit**, l, algerie a l'époque de Abdelkader documents divers, t4** paris, 1951, pp212-214 .
- Roches. 32ans, t1 pp 70 .

2- يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب** ... ،ص 37، وانظر كذلك :

Yver, **correspondance doumas**, pp 202 -201 ,474.

3- يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في** ... ،ص 37 ، انظر كذلك :

Mercele emerit**, l'algerie a l, époque** … pp 187 – 189.

4 -Yver, **correspondance doumas**, pp 424 -657, 659.

5ــ يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر** ....، ص 38 .

ولكن بناءا على الأقوال والأدلة الأنفة الذكر فقد كان من الإنصاف أن تنفذ الحكومة الفرنسية حكم الإعدام في "ليون روش" بتهمة خيانته لفرنسا وطنه ، وعمل على تقوية العدو ضدها فإذا كان إعدام الجندي "مونسيل" عقابا له على قتله ضابط صف فرنسي كان قد قسى عليه وتجبر، فانتقم هذا الجندي لنفسه وأنقذ روحه من موت كان محتوما وهرب على إثرها إلى المسلمين ، ماذا فعلت السلطة الفرنسية مع "ليون روش"؟[(1)] ،وصل "ليون روش" إلى مدينة وهران في منتصف شهر نوفمبر1839م (1255هـ) ، بعد قضائه حوالي عامين إلى جانب الامير حيث تم استقباله من طرف الجنرال " جيهينوك " حاكم إقليم وهران بحفاوة وتم استجوابه بكل احترام وتقدير ، وقد كان "روش" يعلن عن إصراره بحرارة شديدة وبصوت عالي ، وكانت أهم تلك المعلومات التي تم تقديمها للجنرال تتعلق بإعلان الامير عبد القادر للجهاد ضد فرنسا من جديد وأنه يجوب ولاياته ويجهز قواته ، وأخبره أن الحرب ستندلع في الشتاء القادم كما أن الجنرال "جيهينوك" قام بإرسال رسالة بتاريخ 14نوفمبر 1839م إلى المارشال "فالي" أخبره فيها أنه استجوب "روش" و سيرسله إلى الجزائر لمقابلته على متن الباخرة " فوتور " تحت قيادة النقيب " مارسو " [(2)] .

وفي هذا الحين كان الأمير عبد القادر قد أعلن الجهاد في جميع مساجد دولته ، وأمر جميع المسلمين بشراء الأسلحة والذخيرة والخيول والإعداد للحرب ،ولما علم بفرار "ليون روش" من تاقدامت اغتاظ لذلك كثيرًا وأمر بمصادرة جميع ما يملك ، وحسب قول الجنرال "جيهينوك" في رسالته إلى المارشال "فالي" بتاريخ 16 نوفمبر 1839م (1255هـ) أن أحد عيونه (جواسيس) اخبره أن الأمير زوج إمراة "روش"إلى احد المسلمين وسلم له منزله [(3)] .

عندما وصل "ليون روش" إلى الجزائر تم استقباله من طرف المارشال "فالي" على إنفراد حيث تلقى منه كل المعلومات الدقيقة الخاصة بأحوال الامير العسكرية والاقتصادية ، والاجتماعية ومواقفه السياسية ، وتم تعيينه مترجما محلفا من الطبقة الثانية ، كما كلفه بكتابة كل مايعرفه عن الأمير وان يحصي له كل القبائل الخاضعة له بأسمائها وأسماء شيوخها وعدد رجالها وعدتهم ومصادر قوتهم - وهو العمل الذي كان "روش" قد قام به عند الأمير أثناء وجوده معه ويحتمل أن تكون الوثائق التي قام فيها بكتابة كل هذه المعلومات وهربها معه عند مغادرة تاقدامت [(4)]. وان يعين الذين ينوون تقديم ولائهم لفرنسا وقد عين المارشال السيد " بير بروجر " محافظ متحف الجزائر آنذاك لمساعدة "روش" في أداء مهمته على

1- نفس المرجع ، ص 38 .

2- يقول "روش" انه وصل إلى الجزائر على متن باخرة " أشيرون "بتاريخ 19نوفمبر 1839م وقال "مارسيل إمريت "أنه عاد على متن الباخرة "فوتور "بتاريخ 18 نوفمبر 1839م والأصح أنه يكون قد وصل إلى الجزائر يوم 15 نوفمبر 1839م بناء إلى رسالة المارشال "فالي" إلى وزير الحربية بتاريخ 15/ 11 / 1839م والتي يقول فيها أنه استجوبه بهذا التاريخ .

3 -Yver**, correspondance valee, des possessions francaies dans le nord de l.afrique** .paris, 1954. t3 pp.235-. 236

4 -Roches, 321ans, t1, pp 411- 420 .

أحسن وجه ، وقد كان "روش" أهل لتلك المهمة حيث أعتمد على وثائقه فيما يخص المعلومات الإحصائية وطبوغرافيا القبائل[1] ، ولما وصلت تقارير "روش" إلى باريس تم استدعائه من طرف الحكومة الفرنسية في شهر جانفي 1840م (1256هـ) حيث تقابل هناك "روش" مع عدد من الوزراء كبار رجال الدولة منهم الدوق " دور ليون" وزودهم بمعلومات كثيرة بالإضافة إلى كتابه الذي قدمه في الجزائر عن الامير عبد القادر فتم مجازاته على أحسن وجه ، وتم رفع رتبته إلى مترجم من الطبقة الأولى وعينوه إلى جانب الدوق "دور ليون" حيث اصطحبه إلى الجزائر في أوائل شهر أفريل سنة 1840م ، لقيادة المعارك ضد الأمير [2] .

ولما رأى المارشال "فالي" أن "روش" لن يقدم فائدة للفرنسيين وهو في مدينة الجزائر ألحقه بمركز المترجمين العسكريين بالبليدة بهدف تنظيم اتصالات مع معارفه من رؤساء القبائل وجمع المعلومات منهم والتعرف على أخبار الأمير ، وهنا تم تكليف "روش" بالعديد من المهام الجاسوسية في مدينة القليعة وذلك لكي يراقب مسلمي الحجوط ، الذين يعملون على نشر الفوضى والبلبلة في نواحي الجزائر، كما شارك رفقة الجنرال "فالي" في عدة حملات عسكرية في خريف سنة 1840م كما رافق الجنرال " شانجرني " في تموين مدينتي المدية ومليانة ، كما عينه "فالي" مترجم رئيس إلى جانبه خلفا لمترجمه " ميلار " الذي مات في تلك السنة [3] .

ولما وصل الجنرال "بيجو" إلى الجزائر في أواخر شهر ديسمبر 1840م خلفا للمارشال "فالي" ، كان يحمل معه وصايا كثيرة من باريس في صالح "ليون روش" ، بالمقابل قدم "روش" تقارير مفصلة عن الأحوال العسكرية والسياسية لإقليمي الجزائر ووهران ، تمكن الجنرال "بيجو" من خلالها التخطيط بدقة للعمليات العسكرية المقبلة ضد الامير عبد القادر [4] .

ولما حقق الجنرال" بيجو" في حملته على مدينتي تاقدامت و معسكر انتصارا وذلك في شهر ماي 184م(1257هـ) ، كان "روش "من بين الضباط الذين أثنى عليهم الجنرال في تقريره إلى وزير الحربية [5] .

1 -Roches ; dix ans, pp 205-212.
2 -Roches ,32ans, t1, pp 411 -420.
3 -Féraud, op.cit, pp 235 -245.

4– يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في لجزائر و....** ، ص 40 ، وأنظر أيضا :
Roches, 32ans, t1, pp 427-428 .
5 -Ideville**, correspondance Bugeaud**, t2, pp 294-300 .

وبعدما احتفل "بيجو" بانتصاره في هذه الحملة في مدينة الجزائر فكر في نيل فتوى من كبار علماء المسلمين في تونس ، تحرم على مسلمي الجزائر محاربة المسيحيين (الفرنسيين)، وذلك لتشتيت جمع المسلمين من حول الامير ، وهو أمر لم يكن قد خطر على بال أحد من الحكام الفرنسيين السابقين له ، والجدير بالذكر أنه لولا أراء وتقارير "روش" ماكان "بيجو" ليهتدي له هو بنفسه ، كما أن "بيجو" أثناء مفاوضات اتفاقية "تافنا" سمع قول الامير " إنكم تتحدثون عن دينكم .... لو كنتم مسيحيين ... لكنتم من أحسن أصدقائنا إذ أن القرآن ... يأمرنا بالسلم ... واحترام دين عيسى ابن مريم ..." (1)

ولكن بعتبار أن "بيجو" كان رجل عسكري لم يكن يهتم بالأمور الدينية ، وكان يجهل سر قوة المسلمين ولكن "ليون روش"وبحكم معاشرته للمسلمين كان يعلم أن قوة المسلمين تكمن في تمسكهم بدينهم ، ولذلك عمل على إقناعه بان دينهم يحرم عليهم محاربة أهل الكتاب وان لا يرموا بانفسم إلى التهلكة ويقاتلوا عدوا أكثر منهم عددا وعدة ، ونظرا لماضي "روش" مع المسلمين والإسلام وبحكم معرفته الجيدة للغة العربية كان هو الرجل الذي وقع عليه اختيار "بيجو" للقيام بهذه المهمة ، زيادة على انه يملك معارف كثيرة مع كبار شيوخ القبائل وهم يثقون فيه ، لاعتقادهم أنه مسلم (2) .

وقد قام الجنرال "بيجو" بتسليم "روش" رسالة بتاريخ 19 جويلية 1841م إلى قنصل فرنسا العام في تونس ، يوصيه فيها بمساعدة "روش" وذلك للقيام بمهمته السرية ، ومستهلها:

« Jai l, honneur de vous informer que je donne a m. leon roches interprète prencipal, une mission secrète dane linterieur d, Afrique, et que les circonstances exigent qui il passe par Tunis … » (3)

كما أن "روش" بعث برسول إلى التجاني ليشرح له هدف المهمة التي ينوي القيام بها و طلب منه أن ينظم إلى صفهم ، ولتأييد الفتوى كلم رؤساء الطريقة الطيبية ، وخليفة الزيبان وأولاد سيدي الشيخ ، حتى أن التجاني سعد بهذه العملية ، التي كانت حسب رأيه سوف ترسخ الهدوء في نفس المسلمين الذين يحاربون فرنسا تحريضا من الامير عبد القادر ، واستدعى التجاني مقدمي الطرق المتحالفة معه ، وتم الاتفاق على إختيار ممثل لتوجه إلى القيروان في 19جويلية 1841م ، وقد امتثل كل الرؤساء لمطلب التجاني واصطحبت قوافلهم "ليون روش" إلى تونس (4) .

1 - Mercel emerit, **(la lutte entre les généraux et les prêtres aux de buts de l'algerie francise),** revue africaine, 1953, pp 1-2.

2 - Ideville**, correspondance Bugeaud**….. t2, pp 113 -114.

3 - Roches, 32ans, t1, p 443 . Et emerit (la légende …), p88 et roches .dix ans, pp 228-234 et faucon, op. .cit. , pp473 – 474 .Féraud, op.cit ,235-245.

4– يوسف مناصرية، **مهمة ليون روش في الجزائر ....** ، ص 41 . انظر كذلك :
Roches ,32ans, t1, pp 439-443.

أما عن "روش" فقد كان يرتدي لباسا إسلاميا عند وصوله إلى تونس مع هذه القوافل ، وعندئذ تم تسليمه جواز سفر ، إلى مدينتي الصفا قس وقابس وذلك في 7اوت 1841م كما أنهم واصلوا سيرهم حتى دخلوا القيروان ، هنا استطاع بمساعدة رفاقه من أتباع الطريقة التجانية أن ينال الموافقة على نص الفتوى من علماء القيروان ، ولتدعيم هذه الفتوى واصل "روش" رحلته إلى الحجاز مرورا بمصر حتى انه تمت المصادقة من طرف علماء الأزهر وشريف مكة والطائف على محتوى هذه الفتوى ، ثم بعث "روش" بنصها إلى الجنرال "بيجو" قبل نهاية سنه1841م ، وقد استقر هو في روما إلى أن أمره الملك "لويس فليب" بالعودة إلى الجزائر في ماي 1842م (1) .

وخلاصة هذه الفتوى التي لم يعثر على النص الأصلي لها ولذا يجب الحذر من آراء المؤرخين حولها خاصة الفرنسيين منهم ، " يجب على المسلمين مهادنة الكفار الذين غزوا بلادهم (أو أرضهم) بالقوة وذلك إن لم يؤذ هؤلاء نسائهم وأطفالهم ، وسمحوا لهم بممارسة دينهم ، وتركوا لهم حرية إيمانهم .. " (2) ، كما أن الفرنسيين قاموا بتوزيع هذه الفتوى على القبائل وانتشر خبرها في الجزائر عامة ، حتى أن المسلمين الذين ضعفت قوتهم وفضلوا الراحة على الجهاد استبشروا بها ، وأعجبتهم الفكرة إضافة إلى إرسال الجنرال "لاموريسيار " إلى "روش" من إقليم وهران إلى "بيجو" يخبره بتأثير الفتوى في نفوس المسلمين ، حتى أنهم تواروا عن القتال نتيجة لذلك كتب "بيجو"بدوره إلى وزيرالحربية بتاريخ 23نوفمبر 1841م يقول : " لقد كان سفر "روش" إلى مكة وانجراره وراء الحجاج أمرا لم أرضه ، ولكن نظرا لما كسبناه من وراء ذلك من الناحية السياسية فقد نال إعجابي وصالحته على السعي المحمود ..." (3) .

بعد ذلك اعد "بيجو" خاتما نقش عليه الشطر التالي من الآية الكريمة " إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .." ، وقد استعملها منذئذ في جميع مراسلاته مع المسلمين لكسب ولائهم لفرنسا باسم الدين واغلب الظن أن "روش" هو من أشار عليه بذلك ، لان "بيجو" لا يعرف العربية وليس له معرفة بكتاب الله ، كما أن "روش" وهو في الجزائر كلفه المارشال "بيجو" ليرافق السيد "دوماس " مدير المكتب العربي وذلك لان بعض قبائل التيطري وصلوا للجزائر في 02 جويلية 1842م لأداء يمين الولاء لفرنسا أمام الحاكم العام (4).

1– يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر** ... ، ص 41 .

2– يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب** ....ص 41 .. انظر كذلك :
Ideville, correspondance Bugeaud, t2, pp 313-314.

3يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب** .... ، ص 41 . انظر أيضا :
Emerit, (l, algerie a l, époque.....), p230.

4- أصل الآية " قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ، أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .." **القرآن الكريم** ، سورة الأعراف ، الآية 128 .

وتمثلت مهمة "روش" هنا في مساعدة السيد "دوماس" في اختيار بعض الأشخاص من بين المائة والخمسين الحاضرين ، ويتم على إثر ذلك تقديم قائمة بأسمائهم للمارشال "بيجو" حيث يعينهم على رأس مختلف قبائل آقاليمهم ويحكموها باسم فرنسا [1] .

كما واصل "روش" مهمته في تشتيت المسلمين من حول الامير معتمدا في ذلك على معارفه من أتباع كل من الطريقتين التجانية والطيبية اللتين تكنان عداء قديما للأمير،وكشف نشاطاته خلال سنتي 1842م 1843م (1258،1259هـ) حيث يعود الفضل له في انتصارات الدوق "دومال" على زمالة الامير في معركة "وادي إيسلي" ، في شهر أوت 1844م (1260هـ) ليفوز بنيله مكافئة المارشال له برتبة فرقة الشرف [2] .

في هذا الوقت يصبح "روش" المترجم الرئيسي الأعلى للجيش الإفريقي ،ومن أبرز رجال فرنسا إلى جانب "بيجو" الذي استمر في مطاردة الامير على الحدود الجزائرية المغربية ، حيث أن الأمير كلما يجد أنه محاصر من طرف القوات الفرنسية يدخل القطر المغربي وذلك ليتزود بالأسلحة والذخيرة والمؤونة ، حتى ان بعض القبائل المغربية دخلت تحت لوائه [3] ، هنا فكر المارشال "بيجو" في محاصرة الامير والضغط عليه من الغرب فطلب من "روش" مهمة جديدة هي مساعدة الجنرال "دي لاريد" وذلك لوضع خريطة جغرافية يبين فيها ، الحدود الجزائرية المغربية وذلك اعتمادا على الوثائق العثمانية ، أما "روش" فقد كان يمارس أعمال الجوسسة حيث نظم جهاز مخابرات مع الأهالي الموالين لفرنسا ، حيث دس عيون له داخل الجيش المغربي في مركز " لالامغنية " بقيادة الامير"مولاي محمد بن مولاي عبد الرحمان" ، حتى انه لما كان هذا الأخير يعقد اجتماعا سريا مفاده مساعدة الامير عبد القادر ، كان احد رجال "روش" حاضرا يصغي فأفاده بكل القرارات التي اتخذت في هذا الاجتماع [4].

وهذه العيون "لروش" كانت في كل مدينة ومنها مدينتي " وجدة ، وتازة " وبهذا تعرف "روش" من خلال معلومات جواسيسه حول عدد الجيش المغربي وعدته، وفعاليته وأسلحته [5] ، ومن ذلك اكتشاف "روش" مراسلات "مولاي محمد" السرية مع أبيه ، ومن بينها رسالة يأمره فيها بالتوقف في مدينة " تازة وينصحه بإقامة السلم مع فرنسا ، وذلك لضعفه وان يعمل على إبعاد الامير عبد القادر ومطاردته دون جلب نظر القبائل حسب روش [6] .

1ـ يوسف مناصرية، **مهمة ليون روش ....**، ص 42 .

2 -Roches ,32ans, t2 pp 260 -262. Féraud, op. Cit. . Pp 240-241.

3ـ ومن ذلك قبيلة بني يزنا سن في الجبال الواقعة في الغرب الجنوبي من وجدة وقبيلة انقاد في شمال غرب نفس الجبال ، حيث وجد الامير المساندة من هاتين القبيلتين، حتى أن احد مرابطيها أعلن الجهاد بسم الامير سنة 1844م ضد القوات الفرنسية ، انظر :
Jaques caille**. Une mission de leon roches 1845 Casablanca 1947 ,**thèse pp 77-78.

4 -Roches ,32ans t2, pp 370 -371. Féraud, op. Cit. Pp 240 -241.

5 -Roches. 32ans, t2, pp 390 -393.

6 -Caille, **mission leon roches**....., pp 414 -411.

عندئذ تحمس المارشال "بيجو" ـ بعد إطلاعه على هذه الرسائل ـ إلى مضايقة الجيش المغربي من ذي قبل ، وأمر الامير " جوانفيل " بقنبلة مدينتي " طنجة والصويرة "[1] وعقدة معاهدة سلم مع الأمير مولاي محمد في 10 سبتمبر 1844م سميت بمعاهدة " طنجة "حيث اشترط "بيجو" على أن تتعهد الحكومة المغربية بمنع المساعدات على الامير عبد القادر وطرده من القطر المغربي أو عزله ونفيه في إحدى المدن في جنوب المملكة [2].

في هذا الوقت كتب السلطان "مولاي عبد الرحمان" إلى الامير عبد القادر يطلب منه حل جيشه ويستدعيه عنده متعهدا إياه بإكرامه ،وقد كلف بذلك الشيخ حميدة ، قائد مدينة " وجدة " بإرسال وفد إلى الأمير يطلب منه الابتعاد عن حدود المغرب ويهدد القبائل المغربية التي تساعد الأمير عبد القادر ، ولما أبدى الوفد فشله كتب السلطان عبد الرحمان إلى الحكومة الفرنسية يقول لها أنه لايأبى إيفاد جيش لمحاربة الامير ، العدو المشترك ولكنه متخوف من اندلاع الفوضى والاضطرابات في مملكته ، وما أدى إلى هذا الرأي هو تمسك القبائل التي أوت الأمير إليها ولن تفرط فيه ولو حاربت سلطان المغرب لذلك فضل مواجهة الموقف بالطرق السلمية [3].

وبهذا تكون فرنسا قد حصلت على انتصارات سياسية وعسكرية وهذا بفضل "روش" ونشاطاته المتواصلة في متابعة الامير والضغط عليه من كل ناحية خاصة وإذا علمنا أن "روش" يعلم أن الأمير يحتاج إلى الجهة الغربية في صالحه لتدعيم جيشه بالأسلحة والذخيرة والمؤونة .

4- دور " ليون روش" في العلاقات الجزائرية المغربية (1845-1847م) :

لما لم يستطع الفرنسيون القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر ، لان هذا الأخير كان يلجأ إلى الأراضي المغربية ، فعمل الفرنسيون على تأمين القوات المغربية إلى جانبهم ، وهذا بمقتضى معاهدة "طنجة" (سبتمبر 1844م) ، وبهذا يكون الفرنسيون قد ضمنوا إلى جانبهم عداء سلطان المغرب للأمير عبد القادر وبهذا يحاصر الأمير داخل التراب المغربي .

1- أبو العباس أحمد بن خالد ، **الناصري السلاوي، كتاب الاستقصا لاخبارالمغرب الأقصى** ، الدولة العلوية ،الجزء التاسع، تحقيق وتعليق ، ولدي المؤلف جعفر ومحمد الناصري ، الدار البيضاء 1956م ص 53.
2ـ نفس المصدر ، ص 55 .
3- نفس المصدر ، ص 55 .

في ظل هذه الظروف كان كل من الجنرال " دي لاري " والرائد" مارتمبري "يعملان على تسطير الحدود الجزائرية المغربية، وهذا بناء على الوثائق العثمانية ولتكتمل فصول هذه العملية ، اختير "ليون روش" للدخول في محادثات مع سيدي "حميدة بن علي" و"سيدي حمد بن الحضير" وهما ممثلي السلطان في مدينة "وجدة" حيث تم تكليف "روش" بتحضير الأسس التي سيتم عليها تحرير بنود المعاهدة حتى انه استطاع إقناع ممثلي السلطان بحتمية وضع الحدود الجزائرية المغربية وهذا وفقا للوثائق العثمانية لكي يكون هناك سلم بين فرنسا والمغرب [1].

بعدها وقع الجنرال " دي لاري " وممثلو السلطان وهذا بعد مفاوضات عديدة على مشروعي المعاهدة في 18 مارس 1845م في مركز للامغنية، وعرفت المعاهدة باسم معاهدة "لالامغنية" علما أن الجنرال "دي لاري" هو من قام بتحرير المشروعين وقد نص المشروع الأول على موافقة السلطان المغربي على تسطير الحدود الجزائرية المغربية وهذا طبقا للوثائق العثمانية، والاعتراف بسلطة فرنسا وحقها (فرنسا) في متابعة القبائل الجزائرية الخارجة عليها، داخل التراب المغربي أما المشروع الثاني فنص على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب [2] .

في هذه الفترة سافر "ليون روش" إلى باريس وذلك ليحصل على موافقة "لويس فليب" على بنود المعاهدة لكن سلطان المغرب "مولاي عبد الرحمان" رفض المصادقة عليها ، لأنه كان يرى فيها إهانة لكرامته وفيها تهديد للمصالحه الاقتصادية كما انه اعتبرها مخالفة للشريعة الإسلامية [3] .

أما الجنرال "دي لاري" كان في الجزائر ينتظر عودة "روش" وما أن علم برفض سلطان المغرب للمعاهدة حتى أسرع بإرسال "روش" اثر عودة هذا الأخير من باريس في 12 ماي 1845م إلى طنجة لبحث المسالة عن قريب مع المسؤولين المغاربة ،كما انه طلب منهم إرسال سفارة إلى باريس للتعرف على وجهة نضر الحكومة الفرنسية ‘وبدا "روش" ينظم اتصالاته في "طنجة" ليكشف الأسباب الحقيقية التي دفعت سلطان المغرب إلى رفض المصادقة على مشروعي المعاهدة ، واستعان في ذلك بخبرة السيد "جياكومودي مارتينو" "قنصل "نابولي" في طنجة [4].

---

1 -Roches, 32ans, t2, pp 451-452.

2- يوسف مناصرية، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ...**، ص 47.

Féraud, op.cit, pp240_243.

3ـــ قال "روش" أن سبب رفض السلطان المغربي المصادقة على معاهدة "لالا مغنية" يرجع إلى تدخلات القنصل الانجليزي في طنجة حيث أن هذا الأخير كان يرى في الاتفاقية المس بمصالح بلاده كما انه يقول أيضا أن سلطان المغرب رضخ لاحتجاجات الامير عبد القادر بواسطة أصدقائه في بلاط فاس وباسم القبائل المغربية انظر :

Roches, 32ans, t2, pp 451-452 .
Féraud, op.cit, pp240_243.
4 -Féraud, op.cit.pp240-243.

وجاء في رسالة "روش" إلى الجنرال "دي لاري" بتاريخ 17 ماي 1845م، أن المانع الوحيد الذي أدى بسلطان المغرب إلى رفض المصادقة على المعاهدة هو مشروع الاتفاقية التجارية [1] ، لان موافقة مولاي "عبد الرحمان" على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب، سوف يؤدي إلى فتح نفس الطريق بينه وبين إسبانيا وإنجلترا فتغرق بذلك السوق المغربية بالسلع الإنجليزية دون أن تدفع هذه حقوق تجارتها [2] .

كما أن "روش" كان يعلم أن الهدف الأساسي للعسكريين الفرنسيين هو القضاء على الأمير عبد القادر، اقترح على الجنرال "دي لاري" بث دعاية مفادها أن الملك الفرنسي وقعً فقط على مشروع مسألة الحدود، ورفض المصادقة على مشروع الإتفاقية التجارية إلى أن يتم مراجعة بنود المعاهدة [3]

وكانت الخطة التي اخترعها "روش" لكسب مصادقة السلطان المغربي على مشروع وضع الحدود الجزائرية المغربية وإجباره على تنفيذ ماتعهدوا به لفرنسا ، ضد الأمير وقبائل المغرب الريفية وبعد موافقة الجنرال "دي لاري" على هذا الاقتراح وأرسل "روش" توقيعه على نص الخطة اعتمد على أسلوبه الخاص في محادثاته مع السيد "أبي سلهام بن علي" مفوض السلطان في طنجة علما ان "روش" كان يفاوضه باسمه (الخاص) الشخصي حتى في حالة ما إذا تضاربت أرائه ("روش") مع أراء حكومته، بحيث تسهل على هذه الأخيرة أن تحمله المسؤولية ولا يكلفها ذلك سوى تعيين ممثل لها بدله ، لكن فيما بعد اضطربت الأحوال بين "روش" و"أبي سلهام" حين تصل "روش" رسالة من محمد بن إدريس وزير السلطان موجهة إلى الجنرال 'دي لاري' ينقل له خبر مصادقة السلطان على مسألة الحدود ولكن "روش" كان ينتظر الرد عن طريق أبي سلهام ، في حين تصل هذا الأخير أوامر من السلطان بإعادة تحرير نص المعاهدة [4] ، ليعود بعدها "روش" ويستخدم الحيلة والذكاء حيث أخذ المبادرة في التوقيع على رسالة للسلطان جاء فيها، أن سلطان المغرب يعترف ببنود معاهدة "لالامغنية" الخاصة بمسألة الحدود وفقا للوثائق العثمانية ،ويوافق على عدم فعالية الاتفاقية التجارية إلى أن تفتح المفاوضات من جديد بينه وبين الملك الفرنسي[5] .

---

1 - Roches, 32ans, t2 pp 453-457.

2 ــ يوسف مناصرية ، <u>مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ...</u>،ص48 .

3 -Roches, 32ans, t2 pp 459-457.
4-Ibid., pp 457-460.

يوسف مناصرية ، <u>مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب....</u>، ص 48، 49.

5 -Roches, 32ans t2 pp 460-466.

وقد كان قصد "روش" من توقيعه شخصيا على نص الرسالة، هو تـرك بـاب المفاوضـات أمـا الجنرال "دي لاري" وذلك في حالة رفض السلطان المصادقة على مطالبه ، وجاء فـي رسـالة إلـى الجنرال "دي لاري" بتاريخ 20جوان 1845م أن مولاي عبد الرحمان قد صادق على نص رسالته بما فيه البند الثالث والرابع والخامس من معاهدة "لالامغنية" ، التي تنص على اعتراف المغـرب بـسلطة فرنسا على الجزائر ، وحق متابعة القبائل الجزائرية داخل التراب المغربي [1] .

من هنا نقول أن الدبلوماسية الفرنسية انتصرت في الأخير على حساب قلة خبرة رجال مولاي عبد الرحمان أو حكومة المغرب بالشؤون السياسية، وإلا كيف نفسر مصادقة السلطان المغربي أو ممثليـه على نص رسالة حرًرها مجرد ممثل بسيط وكان من المعقول مطالبة سلطان المغرب بنص المعاهـدة الأصلي الذي يحمل توقيع الملك الفرنسي على مشروع مسألة الحدود ، وتأجيلـه لمـشروع الإتفاقيـة التجارية (المزعوم) ، والشئ الملاحظ على موقف سلطان المغرب هو أنه رفض التوقيع في البدايـة تحت ضغط الانجليز والإسبان الذين رأوا في الاتفاقية التجارية المس بمصالحهم الاقتصادية ، وحتـى السياسية وربما كانوا قد اقترحوا عليه التوقيع فقط على مشروع مسألة الحدود وهو الأمـر الـذي أدى إلى المصادقة عليه دون مناقشة ، بعدها عاد "روش" إلى الجزائر ليبلَغ بانتصاراته المتكـررة مرتبـة كبيرة في نفوس العسكريين الفرنسيين حتى أشاد به كل من "دي لاري" والمارشال "بيجو" لـدى الـسيد " جيزو "وزير الخارجية الفرنسي آنذاك .

حيث أن "روش" لما وصل إلى مدينة الجزائر قادما من طنجة على متن بـاخرة " تيتـان" صـحبة الجنرال "دي لاري" بتاريخ 5 جويلية 1845م أوفده هذا الأخير في نفس اليوم إلى باريس حاملا نـص معاهدة "لالامغنية" التي صادق عليها مولاي عبد الرحمان ، وبقي "دي لاري" في الجزائر ينتظر لإتمام المهمة التي كلف بها في طنجة ، حتى أن "بيجو" طلب من "جيزو" تعيين "روش" في منـصب قنـصل فرنسا في طنجة [2].

كما أن العلاقات والمحادثات استمرت بين الفرنسيين والمغربيين حيث أرسلت الحكومـة الفرنـسية "ليون روش" مرة ثانية إلى طنجة في شهر أوت 1845م (1261هـ) من أجل تكوين سـفارة مغربيـة توفد إلى باريس لبحث مستقبل العلاقات ، بين فرنسا والمغرب [3] .

1-Ibid., pp460-466 .

يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر ....**،ص 49،50.

2- Roches ,32ans, t2, pp460-466.

يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر ..**.،ص49،50.

Féraud, op.cit, pp240-243.
Faucon, op.cit.pp473-475.
3 Féraud, op. .cit. Pp 240-243.
Faucon, op.cit, pp 473-475.

أما سلطان المغرب فأرسل احد بني عمومته المدعو " سيدي محمد بن سلطان سرور " إلـــى الجزائـــر أواخر شهر أوت من نفس السنة ليشرح للمارشال "بيجو" مواقف المغرب الودية تجاه سياسة الحكومـــة الفرنسية ، ويعمل على إقامة السلم على الحدود الجزائرية المغربية (1) .

في هذا الوقت كان الجيش الفرنسي تحت قيادة الجنرال" لاموريسيار "بعد أن غادر المارشال "بيجو" الجزائر في 4 سبتمبر 1845م إلى فرنسا بطلب من وزير الحربية ليبحث معه شؤون الجزائـــر، فقـــام الأمير عبد القادر بمباغتة" لاموريسيار"وجيشه(في الإقليم الوهراني) ،وقد كانت هجومات عنيفـــة فـــي خريف سنة 1845م ، حتى أنه تمكن من القضاء على فرقة الكولونيل "مونتنياك" وقتل هذا الأخير فـــي معركة سيدي براهيم في 23سبتمبر ، وأسر الملازم الأول "مارين" على رأس فرقة متكونة من 100 جندي فارتفعت معنويات المسلمين الجزائريين من جديد ، وقامت بوادر ثورات على الفرنـــسيين فـــي بعض أنحاء البلاد (2) .

عندها تخوفت الحكومة الفرنسية من آثار هذه الأحداث وأمرت المارشال "بيجو" بالعودة إلى الجزائر لتنظيم شؤون البلاد ،عندها كان الجنرال "لاموريسيار" قد قرر متابعة الأمير عبد القادر داخل التـــراب المغربي والوصول إلى مدينة "ملوية" للقضاء على دائرته ومعاقبة القبائل المغربية التي تسانده (3) .

وتعدى الحدود وأصبح هذا القرار رسمي عندما كاتبت الحكومة الفرنسية قنصلها في طنجة ، السيد " دي شاستو " ، تأمره بأخذ قرار متابعة الأمير عبد القادر داخل المغرب لكن المارشال "سولت" وزيـــر الحربية ، استفاد هو الأخر من نصائح "روش" و"دي شاستو" ، اللذين حذراه من خطـــورة الموقـــف ، فأمر المارشال "بيجو" بالتوقف بقواته في مدينة "ملوية" والرجوع إلى التراب الجزائري بعـــد القـــضاء على دائرة الامير .

وقد كان لنصائح "روش" الأثر الكبير على سياسة فرنسا الخارجية تجـــاه المغـــرب ، ومنهـــا أن "روش" كان يرى في تدخل فرنسا عسكريا في التراب المغربي فرصة سوف يغتنمها الأميـــر ، وذلـــك ليكوَن مملكة مستقلة في وجه فرنسا وسلطان المغرب معا ، لذلك كان "روش" يفضل مواجهة الموقـــف سلميا واستعمال الأسلوب الدبلوماسي مع مولاي عبد الرحمان ، ونظرا لسوء الأحـــوال فـــي موقـــف فرنسا تم تقرير إيفاد "ليون روش" مرة أخرى إلى طنجة وذلك في شهر نوفمبر1845م حيث حمل معه شروط جديدة لسلطان المغرب (4).

1ـــ يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر ...**، ص 50 .
2ـــ نفس المرجع، ص 50 .
3ـــ نفس المرجع، ص 50،51 .
4 ـــ ـــ نفس المرجع،ص 51 .

ومن أهمها أن يرسل "مولاي عبد الرحمان" فرقة من جيشه إلى شرق البلاد تحت قيادة احد أمرائه من أقاربه ، ليخضع قبائل الريف وان يتم تعيين القائد " ابن عبو " على قبائل الريف وان يتم إرسال سفارة مغربية إلى باريس لبحث العلاقات الفرنسية المغربية ، كما أن "روش" أضاف إلى هذه الشروط مطلبا مفاده أن السلطان يتعهد بالبقاء في مدينة الرباط حتى إيجاد حل نهائي للأزمة القائمة ، نظرا لأن السلطان مولاي عبد الرحمان لما تلقى أخبار معارك الغزوات مابين الأمير والجيش الفرنسي قرَرَ الخروج من الرباط والإستقرار في مدينة مراكش - التي كان يطلق الفرنسيون عليها اسم" مروك "- وذلك لتفادي مضايقة الفرنسيين له [(1)] .

لما وصل "روش" إلى طنجة وتقابل مع السيد "دي شاستو" ، سلم له رسالة إلى محمد بن دريس وزير السلطان يطلب منه استقبال "روش" ومساعدته في مهمته لدى السلطان وقبول شروط فرنسا ، كما ساعده أيضا قنصل إنجلترا في طنجة ، السيد " جون دريمويد هاي " برسالة إلى بن دريس يطلب منه استقبال "روش" ويترجاه إنصاف مطالب فرنسا العادلة [(2)] .

وعندما وصل "روش" إلى مدينة الرباط على متن الباخرة "ميتور" استقبله ابن دريس بحفاوة وإكرام ، وعرض عليه "روش" مطالب فرنسا المذكورة آنفا ، كما حدَث "روش" بن دريس عن إشاعة أخبار حول عدم إبلاغ رسائل الحكومة الفرنسية للسلطان وأنه أتى ليتأكد من ذلك ولينال موافقة السلطان عن مطالب بلاده وإعطاء الشروط مكتوبة .

ونحن نقول أن هذا الكلام من قبل "روش" كان افتراء وكذب وتلك هي دبلوماسية "روش" لمخادعة بن دريس ويبرر مجيئه إلى الرباط ، مع العلم أنه هو الذي قام بتوقيع الرسائل باسم السلطان المغربي وهو الذي لم يحصل على توقيع "لويس فيليب" على رسائل نص المعاهدة وغيرها واستعمل كل هذه المعطيات ضد ابن دريس ، وليرفع "روش" من شأن فرنسا في نظر ابن دريس عمل "روش" على إضعاف قيمة إنجلترا مع أن سفير هذه الأخيرة قدم المساعدة "لروش" ــ ونحن نستغرب هذا الموقف وربما يكون من ورائه مصلحة معينة ــ وقد قال لابن دريس وهو يسلم له رسالة القنصل "هاي" أن فرنسا تربطها علاقات قديمة مع المغرب ، وما رسالة القنصل الانجليزي إلا أمانة فقط وليست وساطة سياسية[(3)] .

1 ـ يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب** ... ،ص 51-79.

2ـــ خلف والده في منصب قنصل إنجلترا في المغرب في شهر افريل 1845م وكانت الأوامر التي كلفته بها حكومته ووقع عليها اللورد "ابير دين" وهي مساعدة وجهة النظر الفرنسية وجاء في رسالة "هاي" لابن دريس العبارة التالية " الحقيقة أن الفرنسيين لهم الحق الكامل في استعمال القوة الخاصة بهم لمطاردة عدو يهددهم ويخيفهم بدون انقطاع وقد لجأ هذا العدو إلى بلد جار وصديق ...،" انظر يوسف مناصرية، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ...**، ص 70، نقلا عن : Caille, mission leon roches, p36

3ـــ يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر** ...،ص 52.

وهو من هذا الكلام يريد القول أن فرنسا دولة قوية مثل إنجلترا ولديهما علاقـات وثيقـة ، تربطهمـا المصالح المشتركة وبهذه الدبلوماسية استطاع "روش" أن يمحو التفوق الانجليـزي الـذي يـشعر بـه المغاربة من جهة ومن جهة أخرى تنبيه ابن دريس أن إنجلترا ليس لديها موقف معادي مـن مطالـب فرنسا بل تباركها (1) .

ونظرا لما قاله "روش" لابن دريس سابقا حول الشكوك التي تقول أن رسائل الحكومة الفرنـسية لم تبلّغ لسلطان، قام ابن دريس بإزالة شكوك "روش" في عدم إبلاغ السلطان مطالب السلطة الفرنسية ، فأحضر له في اليوم التالي توقيع مولاي عبد الرحمان على المطالب التي قدمها له "روش" ، ومـا إن استلم "روش" المصادقة حتى طلب من ابن دريس أن يلتمس له مقابلة السلطان ليتمكن بذلك من مواجهة الرأي العام الفرنسي ،الذي يقول أنه أصَر على إتهام السلطان بمخادعة الحكومة الفرنسية، فـأقنع ابـن دريس السلطان باستقبال "ليون روش" في 21 نوفمبر 1845م ، ولما دخل "روش" على السلطان بادره بقوله ان الأمير عبد القادر يهدد عرش المغرب أكثر مما يهدد فرنسا نفسها، لأن هذه الأخيـرة قـادرة على أن تمنعه من دخول الجزائر ، وأنها أتت الان لتضع نفسها في خدمة السلطان للقضاء على العـدو المشترك وتعمل معه على إخضاع القبائل المغربيـة التـي تـساند الأميـر ، بعـدها قـال (روش) أنه " يجب تدعيم المحبة بين فرنسا والمغرب ، وان ذلك لا يكون إلا إذا قدم السلطان أدلة قاطعة تعبـر عن حسن نيته وإرادته لتقتنع فرنسا بأن رسائلها وصلت إلى مسامع السلطان وأن كـل شـيء يـسير بأمره" (2) .

هنا وقع مولاي عبد الرحمان في فخ "ليون روش" وذلك لكي لا يجد مبررا للهروب إلـى الأمـام ويتجنب تنفيذ وعوده ، وتعهد "لروش" بالعمل مع فرنسا لإقامة السلم وإرسال جيش ضد الأميـر عبـد القادر لإضعاف قوته ، كما وافق على تعيين "ابن عبو" باشا طنجة على إقليم الريف وذلك لما فيه مـن " قدرة على تحمل المسؤولية " حسب قول "روش ، كما سلم لروش رسائل موجهة إلى كل من الملك(3) "لويس فيليب" و المارشال "بيجو" ، و"دي ساشو" وممثل عرشه في طنجة السيد أبي سلهام يخبره فيهـا بالاجرآت التي اتخذها (4) ومما سبق نستنتج أن مولاي عبد الرحمان قد قدر فعلا قوة فرنسا ، خاصة

1ـ نفس المرجع ، ص 52.

2ـ تقرير روش إلى دي شاستو بتاريخ 5 ديسمبر 1845م انظر :

Féraud, op. Cit. , pp 240-243.

Faucon, op.cit, pp 473-475.

3ـ سلم مولاي عبد الرحمان قيادة نصف جيشه إلى ابن عمه مولاي إبراهيم بن عبد المالك ، وأمره بالتوجه إلى شرق البلاد لمساعدة الطالب بن حميدة والشيخ أبو زيان الشاوي الفتاوي ضد الامير عبد القادر فخرج الجيش من مدينة فاس في الأسبوع الأول من شهر ديسمبر 1845م ، ودخل في معركة ضد الامير عبد القادر سنة 1846م وسنة 1847م على رأس جيش من ألف فارس ، انظر يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ...**،ص 79-80 ، نقلا عن

Caille, op. .cit. pp 100,101

4ـ يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في** ... ، ص 53.

منذ قنبلت قوتها مدينتي "طنجة" و"الصويرة" سنة 1844م ، دون أن يكون هناك رد فعل مـــن انجلتـــرا كما كان شعوره بالضعف من الداخل سببا في سرعة مصادقته على شروط الحكومة الفرنسية والموافقة على كل ما جاء به "روش" دون أن ننسى الدور الدبلوماسي الكبير الذي قـــام بـــه "ليـــون روش" مـــع استعمال الخداع والحيلة ، للوصول إلى هذه النتيجة ، وبعد أن عاد "روش" إلى مدينة طنجة في أواخـــر شهر نوفمبر 1845م ، كان يعمل على كسب عطف المغاربة تجاه فرنسا ، ليأتي رسول الـــوزير ابـــن دريس ، وهو سي محمد بن سليمان يخبره بأن قبائل "بني يزناسن" قد رفضت الجهاد تحـــت أي لـــواء بدون أمر من السلطان مولاي عبد الرحمان ، وهذا مايؤكد إخلاص حكومة المغرب في تنفيذ تعهـــداتها لفرنسا .

زيادة على سذاجة العرب وتصديقهم لكل مايقال لهم هنا استعمل "روش" أسلوب آخر - وهو متعـــود عليه منذ أيام إقامته مع الأمير ورحلته إلى المشرق (الحجاز) وقصة الفتوى - وهو استعمال النقـــود لرشوة الناس وشراء الذمم ، مثل ما فعل مع سي محمد بن سليمان حين وضع في يديه عددا من النقود الذهبية مخبرا إياه أنها مكافأة له وان " كل واحد يعطي حسب مقدرته وأنا بعيد أن أعطي الكثيـــر " وان الحكومة الفرنسية سوف تقدم للوزير ابن دريس مكافأة كبيرة تناسب مقامه واعترافا منهـــا لمـــساعدته "لروش" في أداء مهمته [1] .

وهذا هو أسلوب "روش" الذي كان يقصد من ورائه رشوة رجال الحكومة المغربية تحـــت غطـــاء الهدايا والمكافآت ،و نستنتج من عبارة و"أنا بعيد على أن أعطي الكثير " انه يرمي إلى أن الحكومـــة الفرنسية قادرة على أن تقدم للمغاربة أموالا طائلة إذا ما اخلصوا لها المودة والولاء [2]، وهو أســـلوب ستستعمله فرنسا فيما بعد في كل من مصر ومشروع قناة السويس ومع تونس وفرض الحمايـــة عليهـــا بداعي أن عليها ديون لم تسددها لفرنسا ، أي أسلوب الغرق في فوائد الديون الذي عانى منـــه العـــالم العربي في القرن 19م ومازال إلى اليوم وهو نفس الأسلوب الذي كانت تنتهجه فرنسا مع المغرب فـــي هذه الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها .

وعندما كان "ابن عبو" متخوفا من عواقب تعيينه على قبائل الريف فإن "ليـــون روش" كـــان يقـــوي عزيمته مخبرا إياه أن السلطان ما اختاره إلى هذه المهمة الصعبة إلا ثقة منه في قدرته على قمع الفتن ، كما وعده بأن فرنسا ستساعده عسكريا وتقف إلى جانبه كلما احتاج لها ، ليقدم له وذلـــك بالاشـــتراك

1ـــ يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر** ...،ص 53،80 ، نقلا عن : Caille, op.cit, pp80-85

فيه رسالة روش الى بن إدريس في 30 نوفمبر 1845م، أرسلت الحكومة الفرنسية مبلغ 25920فرنك إلى بن دريس ومبلغ 10368فرنك الى أبي سلهام بن علي ، انظر يوسف مناصرية، **مهمة ليون روش في ....**،ص80 . نقلا عن :Caille, op. Cit. p85

2ـــ يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب** ... ، ص 53،54.

مع "دي شاستو" مبلغا ماليا قدره 40 دوبلون [1]، وقد كتب "روش" إلى الحكومة الفرنسية يقترح عليها تقديم مبلغ 15 أو 20 ألف فرنك سنويا إلى "ابن عبو" لمساعدته على القيـــام بمـــصالح فرنـــسا فـــي المغرب[2] .

ولما علم "ليون روش" بعزل السلطان لابن حميدة عن ولاية وجدة بطلب من القبائل المغربية استغل "روش" هذا الظرف وقام بمراسلة ابن دريس في 30نوفمبر 1845م، يطلب منه فيها ضم هذه الولاية (وجدة) إلى قيادة "ابن عبو" ، كما أنه اقترح على "ابن عبو" خطة تنظيمية يجب عليه إتباعها وهـــي أن يعين نائبين له من الأهالي الأول يقيم في "وجدة" ،والثاني في "قصبة سلوان" قرب مدينـــة "وليلـــي" وبذلك يسهل عليه التحكم في القبائل كما أشار "روش" على "ابن عبو" أن ينتهج سياســـة القـــوة (مـــع الأهالي) هذا من جهة وسياسة الخداع من جهة أخرى ، وهذه الأخيرة لا يمكـــن لـــه أن يطبقهـــا إلا برشوة شيوخ القبائل[3].

مما تقدم نقول أن هدف "ليون روش" من ضم "وجدة" إلى إقليم الريف وتحت سيادة "ابـــن عبـــو" ، الذي أصبح يعمل تحت إشراف واستشارة "روش" في كل صغيرة وكبيرة ، هو محاصرة الأميـــر عبـــد القادر والقضاء على مصدر قوته التي كان يستمدها من المغرب وهو ولاء القبائل الريفية له ، وهنـــاك رسالة ثانية لابن دريس وهي مؤرخة في شهر نوفمبر أيضا طلب منه "روش" إرسال قـــوات مغربيـــة لمساعدة "ابن عبو" وهذا بهدف السيطرة على قبائل الريف وأن عليه عدم النظر إلى التكاليف الباهظـــة من جراء هذه التجهيزات لأن الحكومة الفرنسية سوف لن تتأخر في تقديم جزء من نفقات تجهيز هـــذا الجيش لأن إعداده فيه فائدة لفرنسا أيضا [4].

ويقول "روش" في الرسالة أيضا أن السلطان مولاي عبد الرحمان إذا انفرد بالإنفاق لتجهيـــز هـــذه القوات فإن أمول خزانته سوف تنفذ ، ثم يختم رسالته بقوله " إنني بهذا الإعتبار أعتقـــد دون ان أمـــس بكرامتكم ، أن السلطان يستطيع الاتكال على أموال حكومتنا " [5] ، وكما قلنا سابقا فـــإن "روش" كـــان

1- هناك ثلاثة أنواع من الدوبلان واحد يساوي 20 فرنك و 38 سنتيما والثاني مابين 71و40فرنك والثالث يساوي 51الى 81فرنك انظر : يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب** ...،ص 80.

2ــ ابن عبو كان رجلا فقيرا ، كثير العيال (الأطفال) أجره ضئيل لذلك اغتنم نفوذ منصبه ولجأ الى جمع المال من الأهالي لذلك تحسنت وضعيته المالية في طنجة ، وعندما عين على إقليم الريف ساءت حالته واشتكى ذلك الى قنصل فرنسا في طنجة ، لذلك كان "روش" مطلعا على كل ذلك وساعدته هذه المعلومات على استعمال الرشوة كسلاح ضد هذا النوع من الناس ، انظر :يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر** ...،ص 80.

3ــ رسالة "روش" الى ابن إدريس في 30 نوفمبر 1845م انظر : يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش** ...،ص 80 . نقلا عن Caille, op.cit, pp102-113 .

4ــ يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر** ....، ص 54.

5- رسالة ليون روش الى بن دريس في 30 نوفمبر 1845م انظر : Caille, op.cit. Pp102-113 . نقلها يوسف مناصرية في كتابه، **مهمة ليون روش في الجزائر ....** ،ص 80.

يريد الوصول إلى هدف معين من وراء استعمال أساليبه الخبيثة والماكرة ومنها الرشــوة، ومــن بــين صور أهدافه هو كسب نفوذ جديد لفرنسا في المغرب بواسطة أسلوب الرشوة ، حيث أنــه لــم يكتفــي برشوة الولاة مثل "ابن عبو" بل أنه وصل إلى درجة محاولة إغراء السلطان المغربي نفسه ، بــالأموال الفرنسية وهدفه من هذا هو ربط العلاقات الفرنسية المغربية على المدى القريب والبعيد ، وذلــك فــي إطار خطة مرسومة وواضحة المعالم وهي تبدأ بالقضاء على الأمير عبد القادر أكبر تهديد لفرنسا فــي المنطقة ، وإخضاع قبائل الريف للسلطان وإجبارها على التخلي عن الأمير، ثم بعــدها تملــك فرنــسا شرعية التدخل في المغرب بعد أن يكون المغرب غارقا في الديون التي تصله على شكل رشاوي وبهذا ابتعدت فرنسا عن النفوذ الانجليزي وتكون لها الأسبقية في ربط علاقتها معه وهو هدف "ليــون روش" على المدى البعيد (1).

وفعلا استطاع "ليون روش" أن يقنع مولاي عبد الرحمان بإرسال سفير له إلى باريس ، وذلك بغية تباحث مستقبل العلاقات الدبلوماسية الفرنسية المغربية ، واصطحب "روش" السفير المغربــي "الحــاج عبد القادر بن محمد أشعاع" إلى باريس مابين 7و17 ديسمبر 1845م (2).

والشئ الذي يجب أن ننوه به للتدليل على خداع "روش" في تعامله مع المغاربة هو أن فرنــسا لــم تقدم أية مساعدة مالية للسلطان أثناء المعارك التي دارت ضد الأمير ، وفي الوقت الذي كــان "روش" يحقق انتصارات في المغرب باسم الدبلوماسية الفرنسية ، كان الأمير صديق الأمس يــنظم غــزوات متتالية في الجزائر مع زحف القبائل المغربية المساندة له نحو الحدود الجزائرية المغربيــة ، ممــا أدى الى اضطراب الأحوال وذلك في منتصف شهر مارس 1846م الموافق ل 1262 ه (3) .

ولم يستطع "ابن عبو" السيطرة على القبائل الريفية ووقع الخلل داخل جيشه وذلك بسبب نقص الأسلحة والمؤن ، وازداد أمر ابن عبو ضعفا خاصة بعد الخلافات التي وقعي بينه وبين مولاي إبراهيم قائد جيش السلطان ، وسبب هذا الخلاف هو سخط مرابطي المنطقة الريفية على "ابن عبو" مما أدى بهذا الأخير للشكوى للقنصل الفرنسي " دي شاستو" ، حتى السلطان مولاي عبد الرحمان كان متخوفا من تمرد قبائل شرق البلاد ضده ، على إثر هذه المستجدات تم إيفاد "ليون روش" مرة أخيرة إلى الرباط وكان ذلك في

1- يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش ....** ،ص 55.

2- سافر القائد أشعاع الى باريس على رأس الوفد المغربي وهو يحمل رسالة من السلطان الى الملك الفرنسي ويقي الوفد هناك 7 أسابيع تم خلالها غسل أمخاخ الجميع في متاحف باريس وملاهيها وقصورها ، وملذات العيش فيها ، فانبهر أشعاع وصحبه وعاد بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، وصرح للسيد "دي شاستو" قنصل فرنسا في طنجة قائلا : " لو أني شرحت لحمي لتغذية ممثل فرنسا وأرقت دمي لينهل منه فأن ذلك سيكون ضئيلا جدا ... إذا ما أردت ان أبرهن للجميع على مدى ما يغمرني من الاعتراف بعطف سلطان الفرنسيين الأعظم ..." انظر : محمد داود ، **تاريخ تيطوان** ، القسم الثالث ،المجلد الثالث ، ص 295، 296 ، 391 ، 392 ، تطوان 1962.

3-يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر ...**، ص 55 . نقلا عن : Caille, op.cit, pp24-25

شهر أكتوبر 1846م وهو يحمل مهمة تتمثل في حمل السلطان مولاي عبد الرحمان على أخذ قرار حاسم وفعال ضد القبائل الريفية ليعود السلم للمنطقة (1) .

علما أن فرنسا وضعت ثلث الجيش الفرنسي " 000 ، 110رجل تحت تصرف المارشال "بيجو" للقضاء النهائي على مقاومة الأمير عبد القادر ، كما أن "روش" عين في السلك الدبلوماسي نهائيا وذلك منذ فيفري 1846م ، وبقي متمسكا برأيه القائل أن دخول فرنسا في حرب ضد القبائل الخارجة على سلطة مولاي عبد الرحمان يمنح الأمير فرصة ليكتل القبائل من حوله ويجابه بها فرنسا والمغرب معا ، فتنتشر الفوضى بعدها في البلاد ويتعسر الأمر بعد ذلك على فرنسا في القضاء على الأمير ، لكن "روش" كان يفضل استعمال الطرق السلمية ، وبفضله تم تجنيب فرنسا هذه الحرب ، وجعل سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان يدخلها وحده ، وكما عمل "روش" قبل أن يتوجه إلى الرباط ، على إغراء القائد أبي سلهام بن علي ليتدخل لدى السلطان ويكسب القضية لصالح فرنسا ، ليحبك "روش" خطة لرشوة السلطان أيضا عن طريق أبي سلهام ودخل معه في محادثات سرية باسمه الشخصي وأبعد "دي شاستو" لكي لايشك مفوض السلطان في مخادعة الفرنسيين وتعتبر المسألة رسمية من طرف الحكومة الفرنسية ونظرا لتغير الأمور آنذاك فان أبي سلهام أصر على كتمان الأمر ، وتعهد أبو سلهام في الأخير أنه سيفاتح السلطان في مسألة تزويده من طرف فرنسا بالمال ، وقال أن أمله كبير في أن تكون النتيجة إيجابية .

لما وصل روش إلى الرباط ، توصل إلى إقناع مولاي عبد الرحمان بخطورة الوضع الذي يهدد عرشه ، واعتبر مولاي عبد الرحمان ان السبب الرئيسي في تصاعد المخاطر ضد عرشه هو الأمير عبد القادر ، وانتهى إلى إرسال قواته في الأشهر الأخيرة من سنة 1847م (1263هـ) للقضاء على الأمير ، وإخضاع القبائل المغربية والعمل على مضايقة القبائل الجزائرية وإجبارها على الرجوع إلى الجزائر والخضوع لسيطرة قوات الجنرال "لاموريسيار" ، وقد تم ذلك فعلا في أواخر شهر ديسمبر 1847م وانتصر "روش" في مهمته الدبلوماسية في المغرب (2).

وقد ساعدته ظروف المسلمين وضعفهم كثيرا في تنفيذ أرائه المغامرة التي بدأها بتحرير شروط المعاهدة وصادق عليها السلطان ، وأنهاها بمحاولة رشوة رجال دولة السلطان وقد توصل إلى ذلك فعلا .

وبكل هذه الانتصارات نجد أنه عين (ليون روش) في سلك الدبلوماسية ، إذ عين قنصلا في "طنجة" سنة 1846م وشغل نفس المنصب في تونس وطرابلس والنمسا (تريا ستا) واليابان وانتهى سنة 1870م

1- يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ...**، ص 55 56 . نقلا عن : Caille, op.cit. Pp 24-25.

2- يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش ...**، ص 56 . نقلا عن : Caille, op.cit, pp 38-41.

الى منصب وزير مفوض تقاعد بعده عن العمل وكانت مهمته القنصلية في البلدان العربية قد تركزت خاصة على التبشير المسيحي [1].

5- كتاب" ليون روش" 10 سنوات خلال الإسلام :

يحتوي هذا الكتاب على 576صفحة نشر من طرف "الدار الجديدة" في فرنسا كما يحتوي الكتــاب على مقدمة من طرف "كرابي" "E. CARRABY" كما أنه منقح من الأحداث البعيدة عن العقل التــي تحدث عنها "روش" في حياته أي إن "كارابي" قرب الكتاب إلى جانب الموضوعية ونجــد أن الكتــاب يتكون من 18فصلا يسميها "روش" بكتب ونحن الأن سوف نتطرق لهذه الفصول وما كان قــد تحــدث عنه "روش" فيها .

ففي الفصل الأول والذي يعنونه "روش" بي "الجزائر" يتحدث "روش" فيه عن حياتــه وأيــن ولــد وتعليمه وأفراد عائلته وقدومه إلى الجزائر ، كما أنه يتحدث فيه عن زياراته المتكررة للــسيدة نفيــسة ويذكر صديقته أو عشيقته كما يسميها خديجة وكيف تعلــم العربيــة وإنــضمامه لهيئــة المتــرجمين العسكريين من الدرجة الأولى وتحدث عن زواج خديجة وذهابها مع زوجها إلى مليانة .

وفي الفصل الثاني الذي يعنونه "ليون روش" بــــ "إقامتي في متيجة ومليانة"، يتكلم "روش" فيه عن إقامته في بني موسى نواحي البليدة ، وتحدث عن منزل المفتي بلقاسم وزيارته للبليدة وعزيمتــه علــى الذهاب إلى الأمير وهنا يذكر "روش" كيف بدأ تطبيقه للتعاليم الدينية الإسلامية كما وصف طريقه الــى الأمير منها ذكر سوق يوم الثلاثاء في مليانة .

أما في الفصل الثالث الذي عنونه "روش" بــــ "في مخيم الأمير عبد القادر"، ويتكلم في هذا الجــزء من كتابه عن التعريف بالأمير عبد القادر أو بيوغرافيةالأمير ثم يذكر كيف تم لقاؤه مع الأمير وتعُرفه به كما تحدث عن سياسة الأمير ،وكتب حول معسكر الأمير عبد القادر وتحضيراته العــسكرية وعــدد جيشه وتحصيناته ومعركته مع القائد "بيروم" .

الفصل الرابع المعنون بــــ "في تلمسان" هنا يقول "روش" أنه زار سيدي بومدين وتعلم فيها اللغــة العربية أكثر .

وفي الفصل الخامس المعنون من طرف "روش" بــــ "المدية" هنــا تحــدث "روش" عــن المدينــة وموقعها وتحدث عن الحاج بوزيان صديق والده كما تحدث عن زيارة والده له في المدية (الفونس)

الفصل السادس الذي عنونه "روش" بــــ "حصار عين ماضي" حيث تطــرق إلــى قــرار الأميــر بمهاجمة عين ماضي في 12جوان 1838م، كما يتحدث عن الإنطلاقة من تاقدامت لجيش الأمير الــى

1– عبد الجليل التميمي ، (**دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830-1881م**)، مجلة الأصالة، العدد: 29/ 30 (1976م / 1396ه)،ص 49-61 .

عين ماضي ،وتطرق إلى إرساله (روش) إلى سيدي محمد التجاني كما يتحدث عن مهاجمة الأمير لعين ماضي (الجنائن والبساتين) كما قال أن الأمير حذر التجاني كذلك تطرق إلى متابعة الحصار لعين ماضي ووصف أسوار عين ماضي وحصانتها وفي الأخير يتحدث عن دخول الأمير لعين ماضي (بعد سقوطها) .

الفصل السابع المعنون بـــ "تاجوت وتقورت والصحراء" ويقول إن التجاني خرج من عين ماضي وأن "روش" أرسل تقرير حصار عين ماضي إلى المارشال "فالي"

الفصل الثامن المعنون بـــ "تحضيرات الحرب" حيث يقول إن الأمير يستعد لاستئناف الحرب ضد فرنسا بعد نهاية مدة صلاحية معاهدة "تافنا" ويقول إن الأمير قد عاد إلى تاقدامت ويقول أيضا إن الأمير قد أرسل سفارة إلى سلطان المغرب وهي سَرية وتحدث عن رسالة الأمير إلى ملك فرنسا "لويس فليب" وكذلك تحدث عن مصارحته للأمير أنه لم يكن مسلما قبلا وهو لا يوافق على الحرب ضد أمه فرنسا .

الفصل التاسع الذي عنوانه بـــ "العودة إلى وهران والجزائر" حيث يقول أنه من تاقدامت ذهب إلى وهران ومن هذه الأخيرة انتقل إلى الجزائر ،ويقول أنه أرسل للأمير رسالة بتاريخ 7 نوفمبر 1839م كما تحدث عن عودته كما قلنا سابقا إلى الجزائر في 19 نوفمبر 1839م وأنه ذهب إلى باريس ولقائه مع عمته أو خالته " شانبانو" وارتقائه إلى مترجم من الدرجة الأولى، كذلك يتحدث عن عودته إلى الجزائر وعمله مع المارشال "فالي" في مقاطعتي المدية ومليانة، واستبدال المارشال "فالي" ب الجنرال "بيجو"، كما تحدث عن مخيم "تاقدامت" ومهمته في "تاقدامت" وهذا في 1841م، ويختتم هذا الفصل بالحديث عن تكليفه من طرف الجنرال "بيجو" بمهمة إلى مكة .

الفصل العاشر المعنون بـــ "القيروان ومصر" ، حيث وصف "روش" رحلته إلى القيروان (تونس) ورحلته من هذه الأخيرة إلى مصر، وهنا يتحدث "روش" عن ذهابه إلى تونس وذكره مرافقيه وأنه كان يرتدي لباس إسلامي عربي ،ووصف "روش" رحلته إلى مالطا ومنها إلى الإسكندرية والقاهرة كما يضيف ويصف هذه الأخيرة وأن فيها موظفين أوربيين كما تحدث عن مشروع المجمع العربي "projet de collège arabe" كما ذكر أنه أرسل رسالتين إلى صديقه "le capitaine Vergé" القائد "فيرجي" كما تحدث عن الشيخ التونسي احد مرافقيه كان ذاهبا إلى الحج وصف الجامع الأزهر والفتوى التي حملها معه (روش) ثم يتطرق إلى الحديث عن رحلته إلى مكة ورسالته إلى الجنرال "بيجو" ثم يتحدث عن انطلاقه من القاهرة .

الفصل الحادي عشر الذي كان عنوانه بـــــ "المدينة المنورة" ويقول عن رحلته إليها مـــن القـــاهرة واصفا وضعية الحجاج الجزائريين، كما كتب بإسهاب عن المدينة المنورة واصفا إياها ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وقد توسع في ذلك .

الفصل الثاني عشر المعنون بـــــ "مكة" وفيه يتحدث "روش" عن مكة المكرمة وانطلاقه من المدينة المنورة إلى مكة ودخوله إلى مكة، كما تحدث عن تاريخ الحج ووصف بيت الله ويتابع "روش" وصـــفه لمكة والشعائر الدينية للحجاج، ويتطرق بالحديث كذلك عن الدعاية لموسم الحج ، ويـــصف واجبـــات الحجاج الدينية، بعدها ينتقل الى الحديث عن إرساله لرسالة إلى شريف مكة أو الطائف ويصف ســـوق مكة ونواحي مكة، ثم يصف رحلته من مكة إلى الطائف ويصف شريف مكة سيدي "محمد بن عـــون" هذا في 6 جانفي 1842م ،كما يتحدث عن المقابلة الشخصية بينه وبين شريف مكة ،ويتحدث هنا كذلك عن الفتوى بعد أن ينتقل في الحديث عن عودته إلى مكة في 16 جانفي 1842م ، ويصف تخييمه فـــي عرافات وخطبة إمام الحرمين في عرافات ،بعدها يتحدث عن اكتشافه مـــن طـــرف بعـــض الحجـــاج الجزائريين في عرافات، لينتقل بعدها إلى جدة وهذا بعد أن أنقذ الشريف "عون" "روش" مـــن المـــوت المحقق لأنه دنس الأماكن الشريفة باعتباره انه ليس مسلم وينتقل بعدها من جدة إلى مصر عبر البحـــر الأحمر.

الفصل الثالث عشر المعنون بـــــ "من جدة إلى الإسكندرية "هنا يصف "روش" رحلته من مكة إلـــى مصر ومن جدة الى الإسكندرية ثم إلى روما ويتطرق إلى الحديث عن رسالة "فريسنيل" وانطلاقته إلى جدة ثم يذكر موقف علماء مكة من الفتوى والسواح الأوربيـــين ويكمـــل فـــي وصـــف طريقـــه إلـــى الإسكندرية ويعقب على قرار القاضي في مكة.

الفصل الرابع عشر والذي وضع له "روش" عنوان "روما" وبعد أن ذكر نبذة عـــن هـــذه المدينـــة التاريخية تحدث عن إرساله لرسائل إلى عمته أو خالته "شـــامبينو" tante Mme. Champagneux " " ثم يتطرق إلى الحديث عن انضمامه إلى إحدى الأخويات الكاثوليكية الممنوعة في فرنسا، ثم يـــذكر أن الجنرال "بيجو" راسل القنصل الفرنسي طالبا منه من البابا في روما خروج "روش" مـــن رومـــا إلـــى فرنسا .

الفصل الخامس عشر المعنون بـــــ" حملة إفريقيا 1842م إلى 1844م" حيث يتحدث عن انطلاقته مـــن روما وعودته إلى الجزائر ،ويتحدث كذلك عن علاقته مع التجاني ويذكر كذلك رسالته إلى أمـــه التـــي تبنته ورسالته إلى صديقه الذي لا يسميه ويرمز له بحرفي الميم الفرنسي أو (mon ami M. M.).

الفصل السادس عشر المعنون بـــــ "حملة إفريقيا في 1844م" وهنا وصفها "روش" عرضـــيا ثـــم يتحدث عن خروج الكولونيل" أينورد" وعودته إلى مخيم الجنرال "بيجو" (ورش)

الفصل السابع عشر المعنون بـــــ "حملة المغرب" وهنا تحدث "ورش" عن الحملة علـــى المغـــرب من طرف الفرنسيين 1849م وتحدث هنا عن معركة" تيجي" الحسيني ومحاورات الطـــرفين المغربـــي والفرنسي، وتطرق للمؤامرة التي كانت بين الأمير والإمبراطور، ثم ينتقل إلى الحديث عن رسالته إلى صديقه عبد الرحمان في 16 أوت 1844م ،ويتحدث عن معركة "إيسلي" ثم يتطرق في الحـــديث عـــن مراسلاته مع سلطان المغرب .

الفصل الثامن عشر الذي عنوانه بـــــــ "مهمة "ليون روش" في باريس وطنجـــة" وهنـــا يتحـــدث "روش" عن زيارة بعض الأعيان المغاربة إلى باريس ومرافقته لهم، ثم يتحدث عن طرحه للمقابلـــة أو المقارنة بين الجنرال "بيجو" و الأمير عبد القادر وينهي كتابه عشر سنوات خلال الإسلام .

كما أننا نجد في آخر الكتاب مراسلات حوالي 19 رسالة مختارة من مراسلات الأمير عبد القادر مابين 1849م إلى 1883م كما توجد في خاتمة الكتاب خلاصة لمهمات "روش" في كل من المغرب وتـــونس واليابان .

الفصل الثالث : رحلة ليون روش إلى الحجاز (1841 – 1842م) :

قام "ليون روش" برحلة إلى الحجاز خلال سنتي (1841 -1842م)، حيث كان متنكرا في زي حاج مسلم يدعى (عمر بن عبد الله) ، وقد كان هدفه الحصول من علماء الحرم على موافقة على نص فتوى شرعية جاء بها من الجزائر ، وهي تجعل لجهاد ضد المسلمين من باب إلقاء النفس إلى التهلكة ، وقد كان يريد مقابلة شريف مكة عندئذ " محمد بن عون " ومن الرضا بحكم الفرنسيين وعدم شرعية حركة المقاومة التي يقودها الأمير عبد القادر الجزائري ، وأثناء وجود "ليون روش" في الحجاز وأدائه المناسك ، وصف المسالك والمدن والناس وحياة المسلمين في مختلف وجوهها ومن خلال ماتقدم نستنتج أن رحلة هذا الرجل الأوربي الذي اعتبر نفسه ثالث مسيحي - رجل أوربي - يدخل الأماكن المقدسة الإسلامية بعد باديا (عي باي وبورهارد)

1- مهمة روش في تونس ومصر والحجاز

في سنة 1841م أصبح الحاكم العام على الجزائر هو المارشال "بيجو توماس" ، فقرر أن يكلف "ليون روش" بمهمة تضعف من القوة الحربية للأمير عبد القادر ، وتثبط من عزيمة الجهاد عند المسلمين وباتفاق بين بعض مقدمي الطرق الصوفية ، ـ حيث يذكر روش أن الطريقة التي تعاونت معه في إنجاز مشروعه هي الطريقة التجانية ، حيث استغل الفرنسيون الخلاف القائم والذي كان بين شيخها محمد الصغير والأمير عبد القادر لصالحهم، وقد ظلت صديقة الفرنسيين (التجانية) طيلة العهد الاستعماري ولم تكن الوحيدة التي قدمت له (روش) يد المساعدة ، وبعدها تم صياغة فتوى شرعية تبيح لمسلمي الجزائر العيش تحت الاستعمار الفرنسي المسيحي وعدم ضرورة الجهاد [1].

ولكي تكون الفتوى فعالة وشرعية رأى الذين صاغوها ضرورة موافقة أعيان علماء المسلمين عليها [2] ، كما أصدر المارشال "بيجو" التعليمات إلى قناصل فرنسا في تونس والقاهرة (مصر) وجدة ،وذلك لتسهيل مهمة "ليون روش" ، كما وضع تحت تصرفه كمية من النقود الذهبية (السلطاني) ليوزعها على العرب عند الحاجة " الذين يحبونها كما قال روش " [3]

---

1 ـ أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي الإسلامي** ، دار الغرب الإسلامي ، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، 2003م 1424، ص 324_323.

2ـ أراد الفرنسيون أن يكسبوا الفتوى دعم بعض العلماء في المراكز الدينية مسموعة الكلمة عند المسلمين الجزائريين، مثل القيروان ، الأزهر ، الحرمين ، فرشحوا روش للقيام بهذه المهمة وذلك مع تعيين أشخاص ينتمون إلى الطرق الصوفية تغطية له.

3ـ أبو القسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي** ... ، ص 324.

2- مرافقو روش ومساعدوه :

ذكر "ليون روش" أن اجتماعا دعا إليه شيخ الزاوية التجانية في عين ماضي وهو محمد الصغير التجاني [(1)]، كما حضره مقدمو الطريقة الطيبية والطريقة الشيخية وغيرهم ، واتفقوا على صياغة الفتوى وعلى حملها إلى العلماء في القيروان وعلماء الأزهر وعلماء الحرمين الشريفين ، للموافقة عليها كما عين الشيخ محمد الصغير مقدمين من رجاله يرافقان روش في رحلته هما " الميلود بن سالم الاغواطي ، " و"يحي البوزيدي" ، كما كتب الشيخ محمد الصغير رسائل إلى مقدميه في تونس لتسهيل مهمة "ليون روش" ، منهم الشيخ عبد الله بن محجوب [(2)] .

أما في القاهرة فقد التقى روش بالشيخ "حسن بن إبراهيم التونسي"، الذي كان مفتيا بالقيروان وهذا الشيخ هو الذي لازم "روش" أثناء رحلته إلى الحجاز ، كما أنه كان يقلده في أداء الشعائر الدينية ويشير "روش"

إليه دائما باسم " المفتي " كما أن الشيخ كان متقدما في العمر وترافقه زوجته ، حيث كان يقيم في القاهرة عند صهره الذي يسميه "روش" الشيخ " التونسي " ، وهو على مايبدو الشيخ محمد بن عمر التونسي مؤلف كتاب (تشحيذ الأذهان)[(3)] .

الذي كان مخالطا للفرنسيين في مصر حتى أن الرجلان التونسيان كانا يعتقدان في حقيقة إسلام "روش" ، فعلمه الشيخ التونسي اللغة العربية الفصحى، ووجهه الشيخ المفتي إلى التعمق في العلوم الدينية وذلك أثناء إقامة روش بالقاهرة.

كما نجد أيضا من الأسماء الأخرى التي ذكرها "ليون روش" في رحلته ، الشيخ عبد الله بن محجوب مقدم التجانية في القيروان فهو الذي قدم الفتوى إلى علماء هذه المدينة وذلك إثر اجتماعهم في جامع عقبة بن نافع ، وطلب منهم الموافقة عليها ، نجد كذلك أن "روش" يذكر الشيخ القادري في مصر ويقول أنه الوحيد الذي عارض الموافقة على الفتوى عند اجتماع علماء الأزهر ويورد سبب رفض الشيخ القادري

1- توفي سنة 1853م له شخصية قوية وهو من أحد أبناء الشيخ التجاني مؤسس الطريقة التجانية والغالب أنه ولد بالمغرب حيث لجا ولده بعد مضايقات العثمانيين ، بعد وفاة والده جاء هو وإخوته رفقة الحاج علي التماسيني ليرعاهم ويحضر هم للمسؤولية ، وهي قيادة الطريقة بعد دخول الأمير إلى عين ماضي واخرج منها محمد الصغير التجاني، حقد عليه وأصبح مستعدا للتعاون مع الفرنسيين ضد الأمير أنظر :
Roches**. <u>Dix ans</u>** …,op.cit..

2- عبد الله بن محجوب هو مقدم الطريقة التجانية في تونس (القيروان) ، وهو الذي تسلم الرسالة من محمد الصغير لتقديم روش إلى الجهات المعنية ، وهو الذي جمع علماء القيروان للحصول منهم على الموافقة على الفتوى التي يحمل نصها روش ،وابن محجوب كان يعرف أن روش فرنسي متنكر أما العلماء فقد تقدم لهم على انه من عائلة سيدي العريبي (غرب الجزائر) التي عاقب الأمير زعيمها انظر ،
roches. 32ans t2, pp 101.

3- محمد بن عمر التونسي كان يعمل مع البعثة الفرنسية في مصر ، كما تعرف على الدكتور بيرون هناك وهو الذي ترجم كتابه (تشحيذ الأذهان) إلى الفرنسية: أنظر عنه تاريخ عبد الحميد بك **<u>(تراجم من المشارقة والمغاربة)</u>** دار الغرب الإسلامي ، تحقيق أبو القاسم سعد الله بيروت 2000 .

الموافقة على الفتوى بكونه ينتمي إلى الطريقة القادرية ، التي ينتمي إليها الأمير عبد القادر كما انه كان صديقا لمحي الدين والد الأمير عبد القادر [1] .

الذي يعرفه منذ سنة 1827م حيث مر محي الدين بالقاهرة رفقة ابنه عبد القادر في طريقهما إلى الحج [2] ولم يذكر "روش" اسم أي عالم من علماء الأزهر، وإنما قال أن الذي ترأس الاجتماع هو إمام الجامع الأزهر ،والذي قدم الفتوى إلى المجلس هو الميلود بن سالم كما أن "روش" لم يذكر علماء الحرمين الذين اجتمعوا في الطائف بدعوة من الشريف، حيث أن اجتماع العلماء عند الشريف بالطائف كان يجري كل سنة إثناء الحج ، باستثناء الشيخ محمد بن علي السنوسي[3]هذا مايؤدي إلى الشك في مصداقية روايات روش .

أما من الجانب الفرنسي فنجد أن الفرنسيين الذين سهلوا مهمته فنذكر منهم، بالإضافة إلى المارشال "بيجو" نجد" فولجنس فريسنيل" قنصل فرنسا في جدة ،الذي كان يقيم مؤقتا في القاهرة كما أنه كان يعرف" فريسنيل " شريف مكة "محمد بن عون" معرفة جيدة ، والدليل على ذلك أنه كتب إليه رسالة تزكية قوية تتعلق بمهمة "روش" ومن خلال رحلة "روش" نجد أن "روش" لقي ترحيبا كبيرا بل نجا من الموت على يد الشريف ـ هو الذي أنقذ حياته ـ ، كما استفاد "روش" أيضا في القاهرة من خبرة الدكتور" "بيرون " مدير مدرسة الطب بالقاهرة، ثم مدير المعهد العربي الفرنسي في الجزائر ، كما نجد من الذين ساعدوا "روش" قنصل فرنسا في تونس وهو " دي لغو" الذي كان موكلا بمنح "روش" التسهيلات في تونس ثم مالطا فمصر[4] .

لم يطلق ليون "روش" على كتابه اسم (رحلة) بل قال أنه كان سيسميه مذكرات ، بعدها عدل عن ذلك وأطلق عليه اسم " اثنان وثلاثون سنة في الإسلام "وهو في جزأين يضم كل منهما أكثر من 500صفحة ، فموضوع الجزء الأول، هو أوضاع الجزائر وحياة الأمير عبد القادر ، أما الجزء الثاني فقد خصصه لمهمته في الحجاز وحياة المارشال "بيجو" ، وتبدأ الرحلة منذ خروجه من الجزائر إلى تونس ثم مصر ،لكن موضوع الرحلة يبدأ من الصفحات(61 – 149)حيث نجد في هذه الصفحات صور تمثل الكعبة والحرم المكي والحرم المدني والوقوف بعرفات وطهارة الحجاج وغيرها ، وقد ادعى "روش" أنه ثالث

1- أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي ...** ، ص 225 ، 226 .

2ـ حج الشيخ محي الدين وابنه عبد القادر سنة 1827م، بعد أن كانت السلطات العثمانية قد اعتقلتهما ومنعتهما من ذلك، وخوفا عليهما كما ادعت وأثناء السفر مر الشيخ محي الدين وابنه بالقاهرة ،واحتفل بهما محمد علي باشا والي مصر باعتبار الشيخ من العلماء والمتصوفة ،وهي عادة كانت جارية ، وقد رجعا من الحج سنة 1828م ولم يلبثا إلا قليلا حتى وقع احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830م ،انظر : تحفة الزائر الجزء الأول .

3ـ هو مؤسس الطريقة السنوسية ولد قريبا من مستغانم (الجزائر)، وبعد أن درس في فاس هاجر إلى الحجاز ثم استقر بليبيا أنظر : **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء الرابع ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت 1998م.

4ـ أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي ...** ، ص 326 ، 327 ، نقلا عن : Roches, 32ans, t2

مسيحي يدخل مكة المكرمة بعد الاسباني " دومنغو باديا" وهو المعروف باسم علي باي سنة 1807م قبل ولادة روش بعامين، والانجليزي "جون بوركها رد" سنة 1814م [(1)]

3- المسالك (والمحطات) :

بعد عشرة أيام من مغادرة "ليون روش" القاهرة ، وصل ركب الحجاج إلى مكان يدعى مغائر شعيب وهو مكان يقول عنه "روش" ، واد فيه نخيل وأشجار مثمرة من كل الأنواع ، وكان ذلك يوم أول شوال 1257 ه الوافق ل 16 نوفمبر 1841م كما مُروا بمحطات مثل عيون القصب والمويلح إلى أن وصلوا إلى ينبع النخيل أو ينبع البر حيث استراحوا بعض الوقت ـ ثم واصلوا السير إلى ينبع البحر حيث تسوقوا ، كما وصف "روش" ينبع البحر بالنشاط التجاري وغيره وتحدث عن سكانها ومبانيها وعلاقاتها وقد كانت القافلة التي فيها "روش" تضم حوالي 100 جمل كما توقفت القافلة عند بدر حنين التي هي من بين محطات القوافل المتجهة لمكة ، ونجد "روش" هنا تطرق للمعركة التي وقعت بين المسلمين والمشركين (قريش) في السنة الثانية للهجرة ، كما زاروا في طريقهم مسجد "الغمامة" ، مع خوفهم من هجوم البدو عليهم لان قافلتهم لم تكن محمية بالجنود مثل بعض القوافل الأخرى [(2)].

كما أن القافلة كانت تسير ليلا وتتوقف في النهار للنوم ، والطريق بين بدر والمدينة كان سهلا لأنه يعبر أودية فيها مزارع مسقية على حوافها وحولها نخيل وأشجار مثمرة ، لكن الموقع المسمى ، (ثنية الوسط) كان صعبا بل خطيرا ، بعدها واصلوا سيرهم إلى مكان يدعى واد الشهداء حيث ذكر لهم الدليل أن هناك قبور لأربعين من الصحابة الذين استشهدوا أثناء معركة ضد المشركين ، فنزل "روش" والقافلة من على ظهور الجمال ودعوا الله عند تلك القبور ، بعدها عسكروا في واد العقيق لتطل المدينة عليهم بعدها بالخصوص قبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان "روش" يقلد المفتي المرافق له في الدعاء والصلوات والابتهالات وحتى في قراءة آيات من القرآن الكريم [(3)].

دخلوا المدينة المنورة من باب العنبرية ، وبعد أن قطعوا جسرا نزلوا ساحة المناخ الفسيحة التي تفصل المدينة على الضاحية التي هم فيها نازلون ، كما أنهم مروا بالباب المصري وقادهم الدليل إلى حي الأغوات حيث سجل "روش" أنه كان مهتما برؤية المدينة المنورة التي لم يدخلها قبله سوى مسيحي واحد أو اثنين كما وصف الحرم المدني والشعائر الدينية التي أدوها فيها ، وفي 29 شوال 1257ه (14 ديسمبر

1- ج.ل . بوكهارد ولد في لوزان (سويسرا) ودرس في بريطانيا حيث تلم اللغة العربية، كما انه درس العربية في حلب بسوريا وقرا القرآن وتفقه في الإسلام، واعتنقه وتسمى إبراهيم بن عبد الله وحج بيت الله الحرام ، وهو من اكتشف آثارا لبتراء بالأردن وتوفي بالقاهرة سنة 1817م ودفن بها انظر : نجيب العقيقي ، **المستشرقون**، الطبعة 4 ، دار المعارف .القاهرة1980 . ص 2 – 52.

2- Roches,. 32ans, t2, p86 .

انظر : أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي**.....، ص 328 .

3 -Roches, .32ans t2, p 86 .

انظر : أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي**......، ص 328- 329 .

1841م) غادر "روش" المدينة المنورة من الباب المصري ، وانضموا إلى قافلة تضم حوالي مائة جمل متجهة إلى جدة[1]. وقد سلكوا نفس الطريق الذي جاؤوا منه وهو طريق ينبع المدينة، حيث استغرقوا أربعة أيام للوصول إلى جدة ، حيث ذكر "روش" أن هناك محطة تدعى الصفراء وهي بلدة ذات بساتين ، ومنها انفصلوا عن القافلة واتجهوا إلى مكة المكرمة ، وتوقفوا عند وادي زوارق ، كما ساروا بمحاذاة سلسلة جبلية منها جبل أبواب ونزلوا عند بئر مستورة ، وواصلوا السير إلى رابغ البعيدة عن البحر حوالي تسعة كلم ، ومنها وصلوا إلى الخليص ، وكان عليهم أن يمروا بمضيق صعب يدعى ثنية الخليص [2] .

ثم مروا بوادي جموح الذي ينتهي عند وادي فاطمة وسط نخيل وأشجار مثمرة وفي الوادي الأخير أحرموا لأنهم أصبحوا على مسافة يوم واحد من مكة المكرمة ، هنا وصف "روش" طريقة الإحرام ولوازمها ، وذكر أنه كان يقلد المفتي المرافق له ، وأنهم قضوا الليل في الترتيل والدعاء ، وأنه أحس بالبرد فتغطى ببرنوس رغم أنه مخيط ، بعدها نزلوا الميمونة القريبة من مكة وترجلوا فيها وتركوا جمالهم ، وحاجاتهم في الحي الشامي القريب من الحرم ، ولما وصلوا إلى باب العمرة استقبلهم المطوفون الذين وجهوهم للدخول من باب السلام [3].

كانت نوافذ المنزل الذي أجُروه تطل على ساحة الحرم ، وقد أطال "روش" وصف الكعبة ومكة والشعائر الدينية عند المسلمين ، كما انتقد عادة دفع البقشيش ، واستغلال الحجاج ووصف مداخل مكة وموظفيها (خدام الحرم) وكان يقارن بين الشعور الديني عند المسلمين في مكة، وفي الجزائر ولاسيما عند المجاهدين مع الأمير عبد القادر والشعور عند المسلمين والمسيحيين ، وفي هذا الوقت جاءت موافقة الشريف (محمد بن عون) على استقباله ، وأرسل إليه الشريف كتاب الأمان ووسائل المواصلات والخدم وقد سماه الشريف في الكتاب الذي أرسله له باسم (عمر بن عبد الله الجزائري) ، ورافقه إلى الشريف مقدم الطريقة التجانية " الميلود بن سالم" الاغواطي ، حيث قطعوا المسافة بين مكة والطائف وهي تبلغ حوالي 90 كلم في ظرف يومين، كما مروا بعرفات وفيها استبدلوا الجمال بالحمير وذكر "روش" اسم المحطة في جبل عرفات وهي قهوة عرافات ، كما أنهم في طريقهم للطائف مروا على قرية رأس الكرا ، ثم جبل الكرا الذي تسكنه قبيلة هذيل ومروا بواد خصب اسمه وادي محرم ، وعند اقترابهم من الطائف وجدوا واديا تزرع فيه قهوة ، وقد حضي "روش" في الطائف باستقبال رسمي ، وأعجب بالشريف وسياسته ، رغم أنه كان في نظره تابعا لسياسة محمد علي باشا والي مصر [4].

---

1 -Roches, 32ans, t2, p 86.
2 - Ibid ،p 86.
3 -Ibid, pp 88 – 86.
4 -Ibid, pp88-86.

ونجح مقدم الطريقة التجانية المذكور في تمرير الفتوى التي قام "روش" برحلته من أجلها ، كما حصل "روش" أيضا من الشريف على وعد بتحسين معاملة الحجاج الجزائريين باعتبارهم من رعايا فرنسا وعندما اقترب موسم الحج طلب "روش" من الشريف السماح له بالرجوع إلى مكة لأداء مناسك الحج ، فوافقه على أن يرجع بعد الحج ، إلى الطائف ، قضى "روش" تسعة أيام في الطائف ، وفي طريق العودة إلى مكة مروا بمنازل شداد حيث آبار مياه عذبة ، وعند وصوله إلى مكة ، أعلنت طلقات المدفع وصول قافلة الحج الشامي التي نزلت في شمال مكة ، بمكان يدعى "الشيخ محمود" وفي اليوم التالي (18 يناير 1842م) وصلت قافلة الحج المصري التي نزلت في السفوح الواقعة شمال طريق مكة الطائف ، أي على بعد حوالي كلم واحد من مكة وتهاطلت قوافل الحجيج من شتى أنحاء العالم الإسلامي ، وخرج "روش" ومرافقوه إلى عرفات ومروا بطريق يسمى "المأزمين" ، وشاهد كيف تنزل كل قافلة هنالك بترتيب موروث منذ أمد بعيد ، وقد صعد جبل الرحمة ثم حان وقت الرحيل من عرفات وأخذوا في التلبية ، فإذا بالحراس يتقدمون منه صائحين ، أيها الرومي [(1)] .

ثم قبضوا عليه وكتفوه ولفوه ووضعوه على جمل ، وذلك لأن بعض الحجاج الجزائريين قد تعرفوا عليه وأعلنوا لسلطات الشريف أنه مسيحي وجاسوس للحكومة الفرنسية ، وهناك تدخل الشريف وأنقذ حياة روش وأرسله إلى جدة ومن هناك ركب على ظهر سفينة إلى القصير، ومنه إلى النيل عن طريق" قنا" وقد زوده الشريف بصرة من الذهب والفضة [(2)] .

3-1- وصف المدن :

ونأخذ الآن في ذكر المدن التي وصفها "ليون روش" في رحلته :

* **ينبع البحر :** هو ميناء على البحر الأحمر ومدينة هامة تم بناؤها على الجزء الشمالي من الميناء، وهو عميق المياه ، كما أنه محمي من الرياح جنوبا وغربا بجزيرة عند مدخل الميناء، أما منارته فهي سيئة البناء من الحجارة البيضاء ولها طابق أرضي واحد وبه مسجدين بهندسة مسكينة ، أما قصر الحاكم التركي فلا يصلح أن يسمى قصرا، أما السور الدائري فهو في حالة جيدة وترتفع عليه عدة أبراج وقد أخبر الأهالي "روش" أن السور تم إعادة بنائه بعد هجوم الوهابيين في أوائل القرن التاسع عشر ميلادي لكي يحموا أنفسهم من الهجوم عليهم ، من طرف هؤلاء المصلحين العنيفين [(3)].

1– الرومي: المسيحي غير العربي.

2– أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي ...** ، ص 330 . نقلا عن : Roches, 32ans, t2

3– أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي**... ، ص 330، 331 . Roches ,32ans t2, p p 61-64 .

وسكان هذه المدينة(ينبع البحر) من عرب جهينة وبعض السكان من البحارة ،وهناك التجار والمزارعين وميناء هذه المدينة على صلة دائمة بمصر ، حتى أن التجار الكبار لهم محطات تجارية في كل من القصير والقاهرة ، أما ملابس السكان فهي عربية معهودة عند البدو وفي الجزيرة العربية بحيث أن رؤوسهم مغطاة بالكفى وهو منديل من الحرير المخطط بالأصفر والأخضر مع تلة (حاشية)وعباءة من الصوف أو الكتان، وقفطان من كتان أو من القطن أو من الحرير حسب مكانة الشخص الاجتماعية ، وهذا القفطان مضغوط في وسط الجسم بحزام من جلد ، ومياه آبار ينبع البحر غير عذبة ولكن توجد جوابي عظيمة تحتفظ بماء المطر ، وهي خارج الباب المسمى باب المدينة كما أن روش ذكر أن قافلتهم تسوقت من ينبع البحر وتزودت منها بالحاجات الضرورية للسفر [1].

* **بدر حنين :** مدينة صغيرة بناؤها سيئ، لكنها تحيط بها بساتين جميلة ، مسقية من مياه الجداول ، وأراضيها مزروعة بنخيل كثير ، وهي محطة القوافل التي تتجه لمكة ، كما أنها كانت مسرحا لمعركة جرت بين قريش والمسلمين وقد ورد اسمها في القرآن إذ نقض الله رسوله بمعجزة [2] وسكان بدر حنين هم قبيلة بني حرب [3].

* **المدينة المنورة :** لقد بدت المدينة المنورة "لروش" ذات منظر خلاب وجميل، لأنها محاطة ببساتين يكثر فيها النخيل بشكل ملفت للنظر، وكانت المآذن تطل من خلال البساتين ، كما يظهر منها قصر محصن واضح للعيان وقد دخلوها من باب "العنبرية" كما ذكرنا سابقا ثم نزلوا ساحة المناخ وتحديدا في حي الأغوات وتحتوي المدينة على حمامات ويقول "روش" ، أنها دون حمامات الجزائر وفي نظره أن المدينة تتدهور حالتها وعدد زوارها من الحجاج والمعتمرين يتناقص مقارنة مع مكة ، حتى شوارعها توحي بذلك التدهور حتى أن بعض المنازل تكاد تسقط ولاحظ أن زيارة المدينة عند سكان شمال إفريقيا (المغاربة) تعتبر أكثر قداسة من مكة لعلاقة المدينة بمذهب الإمام مالك [4].

كما نجد بها المسجد النبوي الشريف الذي سنتحدث عنه لاحقا، وذكر "روش" أيضا ، مزارات المدينة الأخرى منها جبل أحد ، قبر حمزة ، والشهداء الآخرين وقباء ومسجدها الذي بني كما قال حيث بركت الناقة" من شدة التعب "[5].

1 -Roches ,32ans, t2 pp 64-66.

2– ورد ذكرها في **القرآن الكريم** في قوله تعالى " ولقد نصركم الله ببدر وانتم أذلة ..." الآية 123 **سورة آل عمران**.

3 -Roches, 32ans, t2 pp 66-68.

4 -Ibid, pp68-81.

5– الحقيقة أن الناقة بركة في موقع المسجد النبوي ،حتى أن "روش" يذكر دلك بنفسه قبل ذلك في الصفحة 79 .
أنظر : أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي**.....

والجزء غير المهدم من المدينة المنورة يظهر جيد البناء وكل منازله ذات طابق واحد أو طابقين ،أما المباني فغير مجيرة ولا مصقولة ، مما يعطي للشوارع مظهر كئيب واسم الشارعين الرئيسيين في المدينة هما ، سوق باب المصري وسوق البلاد ، وينطلق الأول من باب المصري والأخر من باب الشام وينتهي كل منهما عند الحرم المكي كما يحتوي الشارعين على دكاكين قليلة المعروضات ، أما في ساحة المناخ أين تركوا جمالهم فيها منازل ذات طابق واحد يسكنها أهل المدينة في المواسم الربيعية وتحيط بهذه المنازل بساتين وحدائق مسقية سقيا جيدا [(1)].

* **مكة المكرمة :** عند وصوله لمنطقة الميمونة ظهرت لهم مكة وقد سكن روش ومرافقوه بالحي الشامي في مكة ، والبيت ذو طابقين نوافذه مطلة على الحرم حيث كانت أجرة البيت دورو ونصف حوالي (8فرنكات) ، وقد كانت مدينة مكة تحيط بالكعبة وشكلها بيضاوي في حدود كيلو متر ونصف طولا ونصف كيلو متر عرضا، أما التلال المحيطة بها فلا تتجاوز 150 مترا وهي خالية من الأشجار الجرداء ، أما المباني فمن الحجارة وفيها منازل ذات ثلاث طوابق ، وشوارع المدينة واسعة وذلك لأنها تستقبل كل عام الحجاج الذين هم مصدر ثروة هذه المدينة ،ولا نجد فيها ساحة عامة ولا أشجار ولا عمارات ومباني ذات أهمية سوى الحرم ومنازل الشريف وبعض المدارس ، كما أن النوافذ تتزين بالمشربيات المصنوعة من الخشب المنقوش والملون ونظرا لتضاؤل عدد الحجاج فإن بعض البيوت تسقط خربة والشوارع غير معبدة لذا يكثر فيها الغبار زمن الجفاف والوحل عند المطر ولا نجد أشكال هندسية عربية جميلة كالتي شاعت في الأندلس والقاهرة ، أما مياه مكة فهي مالحة باستثناء ماء زمزم ، أما أحسن المياه من حيث الذوق فتوجد على بعد ثلاثين كلم من مكة وهي منابع طبيعية [(2)] .

كما أننا نجد لمكة ثلاثة أحياء كل واحد منها يتميز بسكانه، وحالته الاجتماعية، ونوع بنائه ،وتجارته أولها حي " الصفا " به نجد رئيس الخسيان والخمسون خادما الذين تحت إمرته، كما أننا نجد في هذا الحي يسكن أعيان الحجاج ويملك الشريف قصرين قريبين من الحرم في هذا الحي، وفيه نجد كل الأشياء تباع بالمزاد العلني من الأسلحة إلى الأقمشة الثمينة، كما تباع فيه النسخ الجميلة من القرآن الكريم والساعات الانجليزية ومعجنات إسطنبول، وبه المطاعم التي تقدم للحجاج لحم الخروف المحمر، وأنواع الكريمة والقهوة ، أما الحي الثاني فهو حي السويقة الذي يسكن فيه أغنياء الهنود به الدكاكين المصطفة في شوارعه وهي شوارع نظيفة ومرشوشة بالماء وتنبع منها رائحة العطور وتباع فيه الأقمشة من كل الأنواع [(3)] .

---

1 -Roches ,32ans, t2 pp, 81-82.
2 -Ibid., pp 82-112.
3 -Ibid., pp 113-114.

إضافة إلى السبح المصنوعة من" الويس " والصندل كما يباع في هذا الحي العبيد نساءاً ورجالاً ،حتى أن الهنود لا يعتبرون مسلمين محافظين في نظر الآخرين ولكن ثروتهم تجعل الناس تغض النظر عنهم ، والحي الثالث هو حي الشبيكة (أو حي باب عمر)، فيه نجد بيوت راقية تؤجر للأغنياء من الحجاج ، فيه أيضا دكاكين الحرير من دمشق وحلب ، اضافة إلى أن هناك خليط من التجار في سوق هذا الحي فنجد المراكشي يبيع جلود الماعز المصبوغ بالألوان ، وهذا التونسي يبيع الشواشي (جمع شاشية) الحمراء[1] ، وهذا التركي جاء بالأقمشة المطروزة بالكهرمان والمعجين الجافة ، أما التركي الأناضولي فجاء بالزرابي (السجاد) الحريري والشالات ، وأما الفارسي فقد جاء بالأقمشة الكشميرية والمناديل الحريرية أما الهنود فقد جاؤوا بالأسلحة الفخمة والأقمشة والمنتجات من كل نوع، كما جاء عرب اليمن بتحف من الجلود والنرجلات ،أما زنوج السودان وتمبكتو فجاؤا بالقفف المصنوعة من الحصير، ويكثر في هذه الأحياء المتسولون والدراويش سيما الهنود[2].

ومن الأماكن التي زارها "روش" في مكة ، مولد الرسول صلى الله عليه وسلم وهو مسجد محفور في الأرض (الجبل) ، ينزل الزائر إليه بدرجات كما زار مولد السيدة فاطمة الزهراء ،والأمام علي والخليفة أبو بكر الصديق، وضريح السيدة خديجة ، وضريح والدة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد لاحظ أن المقابر التي زارها كانت في حالة سيئة لعدم وجود صيانة كافية لها

* **الطائف :** من المدن التي وصفها "روش" والتي قضى فيها تسعة أيام وقال أنها مدينة صغيرة ، تقع وسط سهل رملي تحيط به الجبال قليلة الارتفاع وهي جبال غزوان ونجد بها قلاع محصنة شكلها مربع غير منتظم وللمدينة ثلاثة مداخل ، وشوارع الطائف واسعة لكن منازلها على العموم ذات حالة سيئة، وفيما يخص المباني الدينية ، في هذه المدينة فلا تثير الإهتمام، سوى مسجد سيدي العباس الذي فيه قبة رشيقة تغطيه ، ولكن نجد في الطائف البساتين والحدائق الجميلة والمزارع الجيدة ، وقد أعطاه الشريف رخصة لزيارة البساتين فوجد فيه الأشجار المثمرة من كل الأنواع والورود المختلفة الأنواع [3].

* **الحرمان الشريفان :**

1 - الحرم المدني : لما دخل "روش" الحرم المدني ليشبع فضوله قال أنه شعر بالدهشة وقد رافق المفتى وزوجته إلى الحرم حيث لما نزل الليل وظاءت المصابيح أرجاء المسجد ورأى الآيات القرآنية المنقوشة بماء الذهب والزرابي (السجاد) الراقية الصنع مبثوثة ، وكان المزور بانتظارهم فكان هو دليلهم الذي يشرح لهم المعالم التاريخية والدينية المحيطة بالمسجد [4].

1- غطاء رأس معروف في تونس وهو يشبه الطربوش القصير وهو مصنوع من الصوف.

2 -Roches. 32ans, t2 pp 113-114.

3- أبو القاسم سعد الله ، <u>**بحوث في التاريخ العربي . ....**</u>، ص 334 . نقلا عن : Roches. 32ans, t2, p81

4 -Ibid., p 81.

وشروحات هؤلاء المزورين تكون حسب مكانة الشخص وسخائه في البقشيش، وبناءاً على هذه المعلومات فإن المسجد يقع في الجانب الشرقي من المدينة وهو مربع الشكل محاط من جوانبه بعرصات وقبر الرسول صلى الله على وسلم موجود في الجهة الجنوبية من المسجد ، وهذا الجزء من المسجد هو المسمى "الروضة"، وقد كانت الجدران والقباب مبيضة وبعض أجزاء المسجد مبلطة والأخرى مغطاة بالرمل ولا يفصل بين قبر الرسول والحائط الجنوبي الشرقي إلا 9 أمتار [1] .

كما أن "روش" يتطرق لبناة – مجددي ــ المسجد النبوي ابتداء من الرسول صلى الله علية وسلم مرورا بعمر بن الخطاب، وعثمان، والوليد، والمهدي ، ثم إعادة بنائه على يد "بيبرس" واحتراقه كاملا سنة 880هـ بصاعقة رعد، وإعادة بنائه على يد السلطان "قايتباي" الذي وضع على القبر القبة التي يشاهدها الحجاج من بعيد مغطاة بالرصاص ،ويعلوها شكل كرة ضخمة عليها هلال من الذهب الخالص، [2]ويحرس الحرم المدني عدد من الزنوج الخسيان لهم رئيس اسمه " بكيسلار أغاسي " وشيخ الحرم له مقام رفيع حيث أن تعيينه من طرف السلطان العثماني نفسه ، أما مداخيل الحرم فعظيمة لكن توزيعها يستعمل لإرضاء أطماع القائمين عليه أكثر من استعمالها في صيانته [3].

2 ـ **الحرم المكي :** عند وصول "روش" والقافلة إلى مكة أحاط بهم المطوفون، وحملوهم على الدخول من باب السلام ، وقد بين "روش" أهمية الكعبة للمسلمين في صلواتهم وتوجهاتهم، ورجع بشعيرة الحج إلى العصر الجاهلي وعصر قريش ، حتى فتح مكة مرورا بقيام عبد المطلب بأمور الكعبة ،كما تحدث عن مجددي البيت الحرام أيضا ، وبناتها جراء ما أصابها من الفيضانات والحرائق وفي القرن 11 ه منتصف القرن 17م، بنيت الكعبة من جديد ونظم ماء زمزم ومقامات المذاهب الأربعة بنيت ، وقال أن صوت الأذان ينطلق رخيما مؤثرا على المسجد الحرام بنغم لم يألفه من قبل ، أما الكعبة فطولها حوالي 12م و5امتارعرض و9 أمتار ارتفاع أما بابها فيقع في الواجهة الشمالية [4]، مقوى بصفائح من الفضة مع زخرفة من الذهب ،وبعد أن تحدث عن الحجر الأسود وحجر إسماعيل ذكر "روش" أن كسوة الكعبة تصنع في مصر وأن من يكسوا الكعبة له السيادة عليها، ومن التقاليد أنه في 25 من ذي القعدة من كل عام تنزع الكسوة القديمة وتبقى الكعبة عريانة مدة 15 يوم، وان باب الكعبة يفتح ثلاثة مرات في السنة في 20 رمضان ،15 ذي القعدة ، 15 محرم ن وذكر "روش" انه دخل الكعبة بعد فتحها من طرف الأغا ، وان الكسوة القديمة تقطع إلى قطع وتباع للحجاج خارج الحرم [5].

1 -Ibid., p 81.
2 -Ibid, p81.
3 -Ibid, p82.
4- لكن الواقع هو أن الباب يقع في الواجهة الشرقية للكعبة : انظر أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي** .....
5 -Roches, 32ans, t2, p92-102.

كما أن "روش" فصل الحديث عن الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروى، وكل الشعائر المتصلة بذلك ، كما تطرق إلى الإصلاحات في الحرم وان سلطان إسطنبول وخديوي مصر هما من يقومان بها من مالهما الخاص (1)، وموظفي الحرم ومنهم نائب الحرم وهو الذي بيده مفاتيح الكعبة و أما المسؤول الثاني فيسمى أغا (الطواشية) وعمله رفقة الفتيان الخصيان هوتوجيه الناس نحو الشعائر نحو الكعبة، ولهم أجور ثابتة ويتاجرون زيادة على ذلك بالأدعية وماء زمزم والسبح والأحجية وغير ذلك (2).

أما مداخيل الحرم فهي غزيرة وهي تتمثل في الأوقاف التي تعود إلى قرون خلت، غير أن الوكلاء يستعملون دخلها لإغراضهم الشخصية ، ولا يذهب منها إلى الغرض المطلوب سوى الجزء اليسير ،ومع ذلك فيظل مدخولها كبيرا وهو مخصص لصيانة المسجد وإضاءة المصابيح وشراء الزرابي، أما الباقي فيوزع على الموظفين الذين هم بأعداد كثيرة، منهم الخطيب ، المفتي ، السقاة ، الكناس ، وقيل "لروش" أن المسجد يستقبل 40 ألف شخص لكن "روش" شاهد عدد أقل حوالي 10 آلاف، كما أن الحرم هو مكان للعبادة أو مدرسة اوسوق للبيع والشراء أو ساحة عامة وعلق "روش" بأن الحجاج لا يحترمون الجامع، فقد ذكر أنهم خارج أوقات العبادة كانوا يطبخون طعامهم داخل اقواص المسجد المحيطة بالساحة ،والنساء يبعن الخبز والتمر، لكن عند الساعة التاسعة مساء فإن الجامع يفرغ من الناس إلا من بعض أهل الورع والتقوى من فقراء الهنود، الذين يبيتون تحت اقواص الجامع وعند عرصاته طيلة إقامتهم في مكة (3).

رغم كل هذا فإن الحرم فقير من الأثاث والزخرفة، فتجد فيه بعض الثريات الذهبية داخل الكعبة وقال أن الفرق بين المقدسات المسيحية والإسلامية هو التسيير، إذ أن سوء التسيير واضح في كل جوانب الحياة الادارية الإسلامية على عكس ذلك الجانب العقائدي فتجد الإيمان جياشا (4).

* **عرافات :** لقد وصف "روش" جبل عرافات من الناحية الدينية والاجتماعية حيث يقول أنهم وصلوا إليه عن طريق مضيق يدعى "المأزومين" ونزلت قافلة الحج الشامي عن جبل عرفات من الناحية الجنوبية الغربية، وقافلة الحج المصري من الناحية الجنوبية الشرقية، أما أعيان مكة وجدة فعسكروا قريبا من عرفات، أما الفئات الأخرى من الهنود والفقراء فقد نزلوا بعيدا إلى حد ما عن عرفات ، وهذا التوزيع للحجاج أصبح تقليدا منذ القدم ،وفي التاسع من ذي الحجة 1257هـ ، 22 يناير 1842م صلوا الفجر في عرفات بعد أن أعلنت الصلاة بطلقات من المدفع، وذكر دعاء المؤذنين للصلاة كل حي وحده وأن أصوات المؤذنين كانت شجية ومؤثرة لم يعهدها في أوربا ولا في المغرب (شمال إفريقيا) ، (5).

1 -Ibid, p102.

2- أبو القاسم سعد الله ، **<u>بحوث في التاريخ العربي ..</u>**.،ص 337.

3 -Roches, 32ans t2 pp101, 102.
4 -Ibid., pp101 -10.
5 -Ibid., pp139-142.

وكان "روش" قد صعد إلى جبل الرحمة أيضا وذكر أن فيه قبة "وهي القبة التي يعتقد الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيها" ، وقريبا من عرصات العالمين التي يمر بينها الحجاج أثناء رجوعهم من الهدي نجد مسجد سيدنا إبراهيم، وغير بعيد عنه نجد منزل الشريف كما نجد خزانات المياه لسقي البساتين (الشريف) ، أما فيما يخص عدد الحجاج والخيام فذكر أن هناك حوالي 60 ألفا ذلك العام، والجمال حوالي 20 ألف جمل **(1)**.

أما الخيام فقد ذكر أنها بلغت 43 ألف خيمة وهي ترجع إلى حجيج الشام ومصر ، أما الحجاج الآخرين ليس لهم ما يغطيهم أي بدون خيام، وليس هناك نظام تصطف فيه خيام مصر والشام ، وإنما على شكل دوائر (مجموعة بيت الشعر) تتألف من أناس من مدينة أو قبيلة واحدة، أما الشعائر فيذكر "روش" ان الخطيب خطب فيهم على ناقة بيضاء وهو يحمل عصا طويلة في نفس المكان الذي خطب فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويجلس خلف الخطيب شريف مكة ومعه خدمه**(2)** ، أما عندما ضرب المدفع اجتمع الناس على ظهور الجمال يتقدمهم المحمل يتبعه باشا الشام ومعه جنود نظاميين ومرافقيه ، والى جانبه أمير الحج المصري مع جنوده وفرسانه وفي المؤخرة حجاج اليمن ولما رفع الخطيب يديه إلى السماء وهو يدعوا ويلبي بعبارة " لبيك اللهم لبيك " ، تأثر بعض الحجاج حتى أنهم اخذوا يضربون صدورهم بينما كان آخرون في حالة خضوع وخشوع تام**(3)**.

4- نظرة روش للوهابيين :

لما قام "ليون روش" برحلته إلى الحجاز كانت الأحداث التي جرت بين أل سعود ومحمد علي باشا قريبة العهد ، وكانت أحاديث الناس على الحركة الوهابية لا تزال طرية، ومن خلال كلام "روش" نستنتج انه يميل إلى رأي خصومها فيها ، خاصة إذا علمنا أن فرنسا كانت تساند سياسة محمد علي باشا قبل الرحلة وبعدها **(4)** ، ويقول "روش" عن المذهب الوهابي أنه يرجع إلى مؤسسه الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي ولد في نجد أوائل القرن 18 م ، حيث درس في جامعات بغداد ودمشق ورجع إلى موطنه واخذ ينشر مذهبه بسرعة بين الناس، وهو مذهب يتمركز في عقيدة التوحيد وهو لا يعتبر محمد إلا باعتباره رجلا يحبه الله ،ويحرم المذهب الوهابي كل مظاهر الزينة والزخرفة والأبهة في المساجد **(5)** ، ويأمر بهدم كل القباب التي بنيت على أضرحة الأولياء ،لأنه لا يعترف لهم بالقداسة حتى القبة التي بنيت على قبر الرسول صلى الله عليه وسلم **(6)**.

---

1 -Ibid., pp, 139-142.
2 -Ibid., p 142.
3 -Ibid., pp 142-143.
4 -Ibid., p 64.
5 -Ibid., pp, 64-75.
6 -Ibid., p76.

باختصار المذهب الوهابي لا يقبل أي واسطة بين الله والبشر ،وهو عدو لأي مظهر من مظاهر الترف ويفرض على أتباعه البساطة في المجلس والمأكل ،وشبه الدرقاويين في كتابه الجزء الأول بالوهابيين ومقلدين لهم[1] ،بعدها حدث تحالف بين ابن سعود أمير الدرعية عاصمة نجد، ومنحه محمد بن عبد الوهاب لقب الحاكم الدنيوي، وقد كان شعار الوهابيين هو الانتصار أو الموت ،وانضمت إليهم أعداد من القبائل العربية وأصبح أل عبد العزيز خليفة ابن سعود على رأس جيش من 100 ألف محارب [2] والمعروف هو أن الدولة العثمانية كانت لا تمارس إلا السلطة الاسمية على الأقاليم البعيدة عن اسطنبول ، لذلك وجد الوهابيون الظروف مهيأة ولم يجدوا من يعاقبهم لتحدث بعدها أزمة بين فرعين من عائلة الأشراف الطامعين في الحكم والسيادة، وهما الشريف "غالب" والشريف "عبد المعين" حيث تحالف هذا الأخير مع عبد العزيز، الذي اغتنم الفرصة لإرضاء طمعه وطمع الوهابيين وأرسل جيش من 100 ألف جندي ليحارب الشريف "غالب" الذي انهزم ونصب الشريف "عبد المعين" على شرافة مكة ، أما المسلمون الذين عارضوا المذهب الوهابي فقد نكل بهم بدون رحمة ،كما نهبت خزائن الكعبة وحدث هذا سنة 1803م [3]

بعد سنوات قليلة عاود الوهابيون الكرَة على الحجاز ونهبوا القوافل المتجهة إلى مكة واستولوا على جدة والمدينة ، كما نهبت الأشياء الثمينة التي كانت حول قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال "روش" أن الزائر يشاهد ما تركه هؤلاء المصلحون القساة من خراب في كل مكان، هنا يظهر للدولة العثمانية وبريطانيا على أن المذهب الوهابي أصبح يهدد الدولة العثمانية والتجارة البريطانية في البحار المجاورة لجزيرة العرب فتم التحالف بين بريطانيا وإمام مسقط ،وناشد السلطان العثماني محمد علي باشا سنة 1810م مساعدته على حرب الوهابيين، حيث نجد أن أول جيش توجه إليهم كان بقيادة "طوسون باي" ولكنه هزم ،وهو احد أبناء محمد علي باشا عندئذ قال "روش" في حديثه عن هذه الأحداث انه من غير المجدي التحدث على ذلك الصراع الذي وقع بين الوهابيين ومحمد علي باشا ، مابين 1810-1818م وانتهت هذه الحرب بالاستيلاء على الدرعية واستسلام الأمير عبد الله، الذي قتله السلطان في إسطنبول رغم الأمان الرسمي الذي منحه له ، وبهذا يقول "روش" أن محمد علي بقضائه على الوهابيين ثبت سلطته على حساب الأمير "غالب" الذي قتل فيما بعد ، ويقول "روش" أن منذ هذا العهد أصبح مركز أشراف مكة موجود اسميا فقط ، رغم ذلك فإن من بينهم هو الشريف محمد بن عون الذي حمل إليه روش رسالته من القنصل الفرنسي " فرنسيل " لتسهيل مهمته في الحصول على موافقة العلماء على الفتوى [4]

---

1 -Ibid., p76.
2 -Ibid., p 76.
3– أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي ...**، ص 340.
4 -Roches, 32ans, t2, p78.

ويظهر من هذا أن روش اتخذ من الوهابين موقف خصومهم ، وذلك بذكره مثلا أنهم هدموا وخربوا الدور والأمصار .

5- وصف روش لمظاهر من الحياة الاجتماعية في طريق رحلته :

تعرضنا إلى رأي" ليون روش" في الحياة الاجتماعية عندما تحدثنا عن المدن وأحيائها وتجارها ونضيف هنا بعض الملاحظات الاجتماعية الأخرى ، حيث يذكر الدكتور أبو القاسم سعد الله أنها قد تكون فيها مبالغة وعدم دقة ولابد من مقارنتها مع غيرها، كما جاء من مصادر أخرى ، فيذكر "روش" أنهم عندما كانوا في بلدة الصفراء توقفوا عند بئر يسقى منها النخيل ، فإذا بهم يجدون أنفسم محاطين بجماعة من النسوة اللائي معظمهن كن شابات جميلات غير متحجبات، فقد جئنا ليسقينا الماء وهن يتكلمن لغة عربية صافية ومهذبة ، كما لاحظ "روش" أنهن لم يكن محرجات من وجود القافلة وقد تحدث إليهن ولكن المفتي لمرافق له شعر بالحرج وطلب منه الرحيل.

وفي مكان آخر ذكر "روش" النسوة اللائي كن يتبعن ركب الحج الشامي والمصري لإغراض غير دينية ، وذكر "روش" وهو في مكة أن النساء لا يطفن بالبيت إلا ليلا [1] . لم يقدم "روش" صورة واضحة عن العلم والعلماء رغم انه تعرض للموضوع من عدة زوايا ،من ذلك ذكره لدروس التي كان الطلبة يلقونها في الحرم المكي ،وتحد ث عن المؤدبين الذي يعلمون القرآن الكريم للأطفال، وذكر متعلمين آخرين كانوا يكتبون الأحجبة عند باب السلام ويأخذون مقابل ذلك أجرا ، وأثناء الحديث عن الحرم المدني لاحظ أن حوله مدارس لا يحضرها إلا عدد قليل، و الغالب انه يقصد الكتاتيب وذكر في مكان آخر أن هناك مدرسة وسماها الجامعة السليمانية في مكة ، وان علمائها كانوا كبار السن ولهم قدر كبير ولهم امتياز إلقاء الدروس (الدعوة والوعظ)على كرسي الحرم ،وعندما حل "روش" بالطائف ذكر أنهم انزلوه بمدرسة لاصقة لمسجد الهنود، وذكر لنا تقليد كان العمل جاري به وهو أن العلماء يلتقون في الطائف عند الشريف في موسم معين ، وقد جمع الشريف "محمد بن عون" علماء كل من بغداد والمدينة ومكة الذين جاؤوا لزيارته ،وإعلان رأيهم في الفتوى ويلاحظ انه لم يذكر علماء مصر وبلاد المغرب في هذه المناسبة [2] ، ومن جهة أخرى ذكر أن هناك أربعة مقامات للمذاهب الأربعة ، فهناك مقام الإمام الشافعي ، ومالك وأبي حنيفة ، وابن حنبل، وقد كرر "روش" حديثه عن الخوف من غارات البدو على القوافل لذلك كانت القافلة تمشي ليلا وتتوقف نهارا ، ورغم أن ذلك يحرمهم من رؤية البلاد ومعالمها ، ومن الحوادث التي

---

1 -Ibid., p 95.

2– أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي ...** ،ص 342 . انظر أيضا : Roches, 32ans, t2

حدثت لهم لما مروا بمغائر شعيب حيث هاجمتهم جماعة من البدو على ظهر الخيل والإبل وطلبوا منهم حق الطريق حيث كانوا مسلحين بالبنادق والرماح والسهام [1].

6-قافلة الحج ومعاملة الحجاج :

يقول "روش" أن الحجاج لا يتمتعون بدرجة واحدة من المعاملة وإركابهم صدفة ، بل هناك سياسة وتقاليد موروثة منذ القدم وذكر "روش" أن هناك قافلة الحج الشامي، وركب الحج المصري، والحجاج المغاربة والهنود واليمنيين والزنوج والبدو ، وبما أن "روش" كان من ممثلي الحكومة الفرنسية وهو مبعوث لمهمة محددة فقد ألح سواء أثناء مقابلاته الرسمية، أو في ملاحظاته العابرة على سوء معاملة الحجاج الجزائريين الذين هم رعايا فرنسا ، والذين كانت فرنسا تستعملهم كذريعة للتدخل في شؤون الحجاج لمنافسة بريطانيا ، فقد قال "روش" أن بعض الحجاج المصريين حدثوه عما يلاقيه الجزائريون في ينبع والقصير وجدة من سوء المعاملة، مثل مطالبتهم بدفع الضرائب في المقابل لا يجدون الدعم من السلطة المحلية حتى اضطر الجزائريون إلى إخفاء نسبهم، وقد اعتبرهم "روش" ضحايا ، لان كثيرا منهم كانوا يموتون جوعا وكان بعضهم يختفي في البواخر التي ركبوها لان الرياس يرمون بهم في البحر بعد تجريدهم مما عندهم ، هنا يطالب فرنسا بالتدخل لصالح رعاياها المسلمين [2] .

وأثناء لقائه مع الشريف عون بالطائف اخبره "روش" أن مهمته تتمثل في أمرين ، الموافقة على الفتوى ووضع حد لسوء معاملة الحجاج الجزائريين ، حيث يذكر "روش" أن الاهتمام كان مركزا على قافلة الحج الشامي والمصري لأنهما الركبين الرسميين اللذين لكل منهما محمل ومرافقون رسميون ، بعدها يذكر "روش" أن الركب الشامي عند وصوله لمكة يقوم باستعراض وسط مكة رفقة الجنود الأتراك ، وذلك بتقدمه المحمل هو(جمل يتميز بحمل الهودج مزين بشتى أنواع الزينة)، ووراء المحمل يسير باشا دمشق ومعه مرافقوه، كما ذكر سابقا- بعد المحمل الشامي- تأتي قافلة الغرب التي جاءت مع الركب المصري ولها هي الأخرى محمل وأمير وفرقة من الخيالة [3] .

7- ليون روش وشريف مكة :

لقد أحاط "روش" نفسه بعلاقات عديدة لتسهيل مهمته بالحجاز وهي علاقات تبدأ من الجزائر ، تونس ، مصر ، وتنتهي بالحجاز هناك رجال السلطات الفرنسية وعلى رأسهم الجنرال "بيجو" ، "فريسنيل" ، و"بيرون" ، وهناك رجال الطرق الصوفية في الجزائر وتونس ، وهناك بعض العلماء

1- أبو القاسم سعد الله ، **بحوث في التاريخ العربي ....**،ص 342.

2 -Roches ,32ans, t2, p64.

3 -Ibid., pp 136-142.

أمثال محمد بن عمر التونسي ، كما أن "روش" ــ كما ذكرنا سابقا ــ جاء رفقة بعض رجال الطريقة التجانية ثم أضاف إلى هؤلاء من أسمائهم أمراء الحبشة وأصهار الشريف الذين لم يذكر أسمائهم (1).

لما جاء "ليون روش" إلى الطائف للحديث إلى شريف مكة فوفر له ختم الأمان، المختوم بختمه الرسمي ، وقد وجد الشريف في منزله بوادي السلامة وحملتهم إليه خيول بقيادة أفراد من أهل النوبة وقد أعجب "روش" بوسامة الشريف محمد بن سيدي عون وقال أن سياسة هذا الأخير تابعة لسياسة محمد علي والي مصر ، ومن ثمة فهو لا يكن أي عاطفة نحو العثمانيين (2) .

كما أن شريف مكة عون كان معجبا بالأمير عبد القادر الجزائري ،ونضاله من اجل تحرير وطنه ، ومع ذلك استمع إلى رأي مقدم التجانية فيه "الميلود بن سالم " وغيره من شيوخ الطرق الصوفية الذين جاؤا لمساندة الفتوى التي تهدف لوقف كفاح الأمير ضد فرنسا وقد كان الشيخ محمد بن علي السنوسي هو الوحيد الذي عارض بشدة تلك الفتوى ، حيث قال عنه "روش" انه من أتباع القادرية ، وذكر "روش" للشريف أنه مكلف من طرف أصدقائه المرابطين في الجزائر لمطالبة الشريف ليتدخل لصالح الحجاج الجزائريين كما أن "بيجو" كلفه بذلك بصفته الحاكم العام باسم فرنسا ، أما الفتوى فقد قال "روش" للشريف أنها من اجل السلام والاستقرار في الجزائر التي تمزقها الحرب (3) .

ولقد مدح "روش" الشريف عون انه كان متسامحا دينيا لأنه جالسه أكثر من أربع ليالي وقال انه تأثر بالروح الإسلامية وجمال اللغة العربية عند الشريف ، وتمنى انه لو يبقى معه مدة أطول وقال عن نفسه انه أصبح ذا تفكير مستشرق لاتصالاته بالشريف وغيره ، كما تحدث عن إكرام الشريف له وانه وضع على ذمته حصانا عربيا أصيلا ، طيلة مدة إقامته لكن "روش" لم يستعمله سوى مرة واحدة للتجول في الطائف وأخذ "روش" عن الشريف قوله أن العقيدة الإسلامية بدأت تضعف عند المسلمين وقوله أن العالم الإسلامي عرف رجلين ظهرا لإنقاذ المسلمين ، وهما الشيخ شامل في المشرق (4) والأمير عبد القادر في المغرب (5).

وقد قارن "روش" بين الروح الدينية التي عرفها وهو في دولة الأمير عبد القادر بعض الوقت ، وبين الروح الدينية في الحجاز ، وقال (عن مسلمي الجزائر) كانوا يتبعون أميرهم في جهاده بإخلاص أما عرب مسلمي الحجاز فقد كانوا يتبعون أهل مكة وغيرهم ممن ليس لهم عقيدة دينية راسخة، بل أن

1 - أبو القاسم سعد الله ، **<u>بحوث في التاريخ العربي ...</u>**،ص 343،344.

2 -Ibid, p121

3 -Ibid., p 124

4ـــ الشيخ شامل الداغستاني الذي حارب الاستعمار الروسي بناحية القوقاز، توفي بالحجاز بعد سجنه الطويل في روسيا ، وقد حرره الامير من الأسر بعد تدخله لدى نابليون الثالث الذي تدخل لدى القيصر الروسي ، انظر: سعد الله ، **<u>بحوث في التاريخ الاعربي الاسلامي</u>** .

5 -Roches, 32ans, t2, pp 133 -144

"روش" قال أن حرارة العقيدة الإسلامية لدى الأمير عبد القادر أقوى منها عند شريف مكة، لان الأمير في نظره كان رجلا متقشفا زاهدا في الدنيا ، بينما الشريف كان مشغول بشؤون الدنيا ، بل حتـــى أن "روش" قال أن لو حل الشريف محل عبد القادر لوجدت فرنسا فيه حليفا مخلصا ولوجد فيه مسلموا[(1)]. الجزائر أميرا يضمن لهم السلام والرخاء ،ولو كان الأمير محل الشريف لرفع راية الوهابيـــة وافــشل محاولات إسطنبول ومصر [(2)]

وفي الأخير نقول أن من خلال حديث "روش" عن الشريف ،هو أن هذا لم يكن يعلم عن عقيدة ضـــيفه سوى انه مسلم جزائري ضمن الوفد الذي يتكون من رجال الدين ، ولما اكتشف الشريف حقيقة "روش" ، وان القاضي اقتنع برأيهم - الحجاج الجزائريين الذين رأوه - وبالرأي القائل أن يدفع"روش" (الجاسوس الفرنسي المسيحي رأسه ثمنا لتبخيس الأماكن المقدسة) ، هنا أعطـــى الـــشريف تعليماتـــه السرية بإنقاذ حياة "روش" وكلف شخصا بتهريبه من مكة إلى جدة ومنها إلى القصير فمصر وتظـــاهر للناس والقاضي (الشريف) باتخاذ اللازم ضد "ليون روش" ولكنه في الواقع قد نجاه من أجل وصـــية "فريسنيل" بل حتى انه أعطاه مالا يواجه به طريق العودة ورغم أن "روش" قد حقق هدفه مـــن رحلتـــه في ظاهر الأمر فإن المقاومة الوطنية بقيادة الامير عبد القادر تواصلت ستة سنوات أخرى، وكان على المارشال "بيجو" أن يتخلى على مهمته دون تحقيق الانتصار على الأمير.

1 -Ibid, pp 82 -129.
2 -Ibid, pp 82 -129.

الفصل الرابع : نماذج على دور المرأة الأوربية في الجوسسة في الجزائر

إن التطرق إلى هذا الموضوع يؤدى بنا إلى البحث عن دور المرأة الأوربية في التجربة الاستعمارية في الجزائر، وهنا يتبادر إلى أذهاننا مجموعة من الأسئلة منها هل كانت المرأة وسيلة من وسائل التأثير الذي يسميه البعض الغزو الاجتماعي والثقافي؟، كما يؤدى بنا إلى البحث عن ردود الفعل عن دور المرأة وهنا نتساءل أيضا كيف استطاع المحتلون أن يوظفوا المرأة الأوربية لتحقيق مخططاتهم؟ في السيطرة والتأثير وكيف كان رد الفعل من الطرف الأخر على هذا اللون من الهيمنة التي أطلقوا عليه اسم التغلغل السلمي في المجتمع المستعمر؟.

من خلال ما تقدم يفهم البعض أننا سنتحدث عن الزواج المختلط، هذا الأخير الذي لم يستعمل وذلك لان الحالات التي سنذكرها هي حالات لا تدخل في الزواج المختلط باستثناء واحدة ، وإنما هي حالات كان القصد بها التأثير الذي عجز عنه السيف والقهر أو التأثير الذي يعفى السيف من مهمته **(1).**

لكن توظيف المرأة الأوربية من اجل التأثير في الطرف الأخر، لم يكن إلا جزءا من عملية التغلغل السلمي في المجتمع المستعمر لتحقيق ما يسمى بالمهمة الحضارية الفرنسية ولمواجهة هذا المجتمع المغلق استعمل الفرنسيون المرأة الأوربية لانجاز جزء من مهمتهم ،وتكسير الحواجز التي تفصل بينهم وبين نصف مجتمع الجزائر، حتى انه ظهرت دعوة كانت تقول أن الاستيلاء على المرأة الأهلية سيضع حدا لجميع أشكال المقاومة الأخرى عسكرية أو دينية أو اجتماعية، أو من خلال ذلك سيتم القضاء على ما يسمونه التعصب ضد الفرنسية وهو التعصب الذي اعتقدوا أن المرأة العربية المسلمة هي مصدره ، وخاصة بعد رفض الجزائريين تعليم أولادهم اللغة الفرنسية خشية عليهم من فقدان هويتهم **(2).**

وبعد نحو خمسة عشرة سنة من المقاومة المسلحة ، وبعد استيلاء الفرنسيين على مصدر تمويل التعليم وهو الأوقاف الإسلامية ، حاول الحاكم العام "الماريشال بيجو" سنة 1834م أن يفرض اللغة الفرنسية في الكتاتيب القرآنية ، وطلب من المفتى الموافقة على ذلك حتى يستجيب الناس، ولكن المفتى رفض فعزله الماريشال ونفاه من البلاد **(3)** ولما فشل هذا القائد الفرنسي في هذه السياسة حاول هذه المرة بث اللغة والتأثير الفرنسي بطريق أخرى اقل استعراضا للعضلات وهنا تبدأ أول حالة في موضوعنا **(4).**

1 ــ أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى ،دار الغرب الاسلامى ، بيروت لبنان ،2005 م 1426ه، ص 115 .

2ــ نفس المرجع ص 116

3ــ أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، الجزء الثاني، الطبعة الثانية ،دار الغرب الاسلامى، بيروت لبنان ،1990، ص11ــ 48.

4ــ أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، الجزء الخامس، ص 116-117.

1- لوس الليكس :

قبل التحدث عن مشروعها في المجتمع الجزائري ، يجب التطرق إلى المحيط العام الذي كان له تأثير عن حياتها ألا وهو عهد الحركة "الرومنتكية" في أوروبا وهي حركة كانت قمتها بفرنسا خاصة خلال عقد الثلاثين (1830–1840)، ونحن نعلم أن حب المغامرة والبحث عن المجهول والاطلاع عن حياة الشعوب البدائية هي من سمات هذه الحركة فكيف وصلت" لوس" إلى الجزائر وهل كانت الرومنتكية هي معركتها[(1)]

ولدت لوس سنة 1804م في فرنسا ، وتعلمت تعليما مضطربا ، أما والدها كان يعمل كاتبا لبلدية "تورين" ، حيث كانت لديه مكتبة استفادة منها "لوس" ليحين وقت زواجها ، فتزوجت من رئيس للموسيقى العسكرية ، حيث أنجبت منه بنتا في هذا الوقت كان الإعلام الفرنسي يحث على الهجرة إلى الجزائر بلاد الشمس والبحر ، بدل أوربا الغائمة والحزينة ، لتكون لوس ممن غامر تاركتا ابنتها عند أمها وهاربة من زوجها ، ودخلت الجزائر باحثة عن الأحلام الموعودة [(2)].

ولكن حياتها كانت ضنكه ، فقد جربت أعمالا مختلفة من غسالة في المستشفى العسكري ، إلى خياطة ولم يلبث والدها أن توفى (1837) ،حيث نجدها تعلمت اللغة العربية وتعرفت على أحوال المرأة الجزائرية العربية وذلك أنها دخلت البيوت المغلقة لتكتشف انه بإمكانها أداء رسالة لبلادها باكتشاف هذا العالم المجهول والسيطرة عليه من خلال الجيل الجديد [(3)].

بدأت" لوس" عملها في الخياطة وذلك أنها فتحت ورشتها بأربع فتيات، حيث أنها استطاعت أن تقنع أمهاتهن بعدم الخوف عليهن ، حيث نجد أن الورشة كانت عبارة عن منزل موريسكى حصلت عليه بالتبرعات ، وأخذت تعلم البنات المسلمات اللغة الفرنسية والحساب والطرز والخياطة والملاحظ على مشروع "لوس" هذا انه لا يؤهل البنات لمراحل التعليم المختلفة ، ولكنه كفيل بان يضمن لهن حرفة بسيطة ، زيادة على هذا كله هو كون البرنامج كفيل بإخراج التلميذات من تقاليدهن وفتح أبواب الأسرة في وجه التأثير الفرنسي ليتواصل جمع التبرعات وانضمام البنات حتى بلغن الأربعين ، وأصبح المنزل ضيق عليهن هنا تقدمت "لوس" بطلب المساعدة إلى الحاكم العام المارشال "بيجو" فأمدها بالمال اللازم.

وهنا يجب أن نقول أن المارشال" بيجو" تساهل وزود "لوس" بالأموال اللازمة وهو أمر يحتمل الشك والتساؤل ،لماذا يساعد الحاكم العام هذه المرأة إن لم تكن لبلاده مصلحة في ذلك؟ ، حتى أن الحكومة تدخلت بنفسها في المشروع من أجل توسيعه وتعميقه وبعد فترة جاءت المساعدة المالية أيضا من وزارة المعارف[(4)]

1- نفس المرجع ص 117.
2– نفس المرجع ص117، انظر كذلك أبو القاسم سعد الله، **الحركة الوطنية الجزائرية** ج1- ط1- ،دار الغرب الاسلامى ،بيروت لبنان،1992.
3– نفس المرجع ص117.
4– نفس المرجع ص118.

الفرنسية كما أننا نجد اعتراف الحكومة رسميا بمدرسة "لوس" في يناير 1847م، وفي وقت كان بيجو ما يزال الحاكم العام [1]، وهكذا نجد أن مشروع" لوس" تحول من محاولة إلى تجربة ناجحة ، ومن تجربة خاصة إلى مشروع عام حيث ظهرت نساء أخريات في مختلف المدن وقلدن تجربة "لوس" بل حتى أنهم طوروا التجربة بإدخال مواد جديدة على برنامج التعليم في الورشة، وذلك بالتعرف على طرق وأساليب الطرز والنسيج في مختلف النواحي الجزائرية، فمثلا هناك أسلوب جبل عمور ،وأسلوب الزواوة وأسلوب الأوراس وأسلوب الصحراء، بل حتى أنهن حاولن تقليد وتطوير الأساليب الشائعة في تونس والمغرب وسوريا ،هذا لأن أسلوب الجزائر قد ركد فترة ،ولان الصناعات التقليدية فيها قد تضررت بفعل الاحتلال ، ومن الأسماء التي خلفت" لوس" نذكر السيدة "ابن عابن " وهناك أخريات كثيرات [2].

والملاحظة المهمة حول مشروع" لوس" وتدعيمه من طرف الحكومة الفرنسية، هو أننا لا نجد امرأة عربية فتحت ورشة باسمها بعد ذلك، فالاحتكار ظل دائما فرنسيا ومدعوما من الحكومة المحلية، استطاعت ورشات "لوس" وخليفاتها أن تطور الصناعات التقليدية الجزائرية التي كاد يقضى عليها بفعل هدم الأحياء القديمة في المدن وهجرة الحرفيين ومنافسة الصناعات الأوربية ، وما أنتجته الو رشات الموجودة امتصته السياحة الأوربية ، كما نجد مشاركة لوس وتلميذاتها في المعارض الفرنسية والدولية وذلك بالإنتاج الصناعي التقليدي الذي حاز شهرة عالمية ، ومن المعارض الدولية التي شاركت فيها لوس بإنتاجها نجد معرض لندن سنة 1867م [3] .

وبذلك ساهم المشروع في تحقيق نتائج عديدة نذكر منها نشر التأثير الفرنسي في الأسرة الجزائرية والعربية، حتى ولو كان هذا التأثير غير باهر ، وكانت اللغة الفرنسية أكبر إنجاز حققته الو رشات لان اللغة وسيلة فعالة ودائمة ، ومنها كذالك تنشيط الصناعات التقليدية لخدمة الاقتصاد المحلي، هذا الأخير الذي أصبح في يد الفرنسيين كما نجد أن المشروع حقق سمعة عالمية ، حيث كان السواح ولا سيما الانكليز يشترون أنتاج الو رشات بأسعار مغرية [4].

1– نفس المرجع، ص118.
2– نفس المرجع، ص128.
3– نفس المرجع ،ص119.
4– نفس المرجع، ص119.

2 - اوريلي بيكار التجاني :

هذه هي المرأة التي لعبت دور كبير في المجتمع الجزائري اسمها "اوريلي بيكار" pickard .o والتي هي معروفة باسم "اوريلي التجاني" حتى إن بعض الكتاب الفرنسيين أطلقوا عليها لقب" أميرة الرمال" وإذا كانت "لوس" لعبت دورها في المدينة ،وكان تأثيرها في الأسرة والاقتصاد فإن نشاط "اوريلي" قد تركز على الجانب الصوفي، والقيادات المحلية وهي هنا الطريقة الصوفية التجانية [(1)].

ونحن نعرف تاريخ الطريقة التجانية وحياة مؤسسها احمد التجاني[(2)]، ولكننا هنا لا نتكلم عن عهد التأسيس ولكن عن فترة الجيل الثالث ، أي احمد التجاني الحفيد المعروف باسم احمد الحبيب ـ تمييزا له عن أحمد الكبير أو المؤسس - والملاحظة الواجب ذكرها هي إن الطريقة التجانية ارتبطت بعلاقة خاصة مع الفرنسيين، وهذه العلاقة منذ الخلاف الذي وقع بين الطريقة التجانية والأمير عبد القادر [(3)]، (علما إن هذا الخلاف كان للاستعمار الفرنسي دور كبير في إذكائه وما قام به روش أثناء حصار الأمير عبد القادر لعين ماضي خير دليل على ذلك) ، كما نجد أن الفرنسيين استغلوا هذا الخلاف لصالحهم وكما قلنا أن عين ماضي كانت مركز نشاط العائلة التجانية ومقر الزاوية ، وهذا رغم وجود فرع "تماسين" الذي كان في بعض الأحيان يفوق الأصل نشاطا ونفوذا ، أما في الفترة التي نحن نتساءل فيها (1870-1897م)، كانت البركة الصوفية في فرع "تماسين" أي عند عائلة الحاج علي الينبوعي ، وليس في عين ماضي أما إذا عدنا لموقف السلطة الفرنسية فإن احمد الحبيب كان غير مؤهل لحمل البركة لأسباب (يطول شرحها)، وهي أن بعض المصادر الفرنسية تدعي أن احمد الحبيب وأخاه لم يكونا من صلب محمد الصغير التجاني [(4)].

وكذلك من تلك الأسباب عدم وضوح أصل احمد الحبيب ومنها غلطته إزاء الثورة عام 1864م، لذلك توصلت السلطة الاستعمارية إلى ضرورة تغلغل داخل الطرق الصوفية لمعرفة أسرارها ، ولكن هذه المرة عبر استعمال سلاح المرأة هذا السلاح الفتاك الذي اثبت نجاحه في كل قصص المخابرات والجوسسة عبر التاريخ . ولكي يتم الزواج بين احمد التجاني وبين "اوريلي بيكار" لابد من إنجاز خطوات مسبقة أول هذه الخطوات هي اتهام الشيخ (وقد كان دون العشرين من عمره) ، وذلك لأنه تهاون في أداء واجبه حيث لم يرد ثوار أولاد سيدي الشيخ عن عين ماضي سنة 1864م [(5)] ..

1ـ نفس المرجع ، ص 119.

2ـ ولد احمد التجاني في واحة عين ماضي جنوب غرب الجزائر سنة 1150ه ،حيث درس فيها ثم في فآس ثم بعدها سافر للمشرق وكان قد أخذ التصوف عن عدد من شيوخ الجزائر والمغرب ومصر والحجاز ،ولما رجع إلى الجزائر أعلن استقلاله بطريقته في واحة بوسمغون قرب عين ماضي وعندما أحس بمضايقة السلطة العثمانية في الجزائر هاجر إلى المغرب، واحتضنه هناك السلطان سليمان وقد توفي في فآس سنة 1230ه الموافق 1814م انظر : الحفناوي بن الشيخ ، **تعريف الخلف برجال السلف** ، الجزائر 1907م، ص 2- 38 .

3ـ أثناء مقاومة الأمير عبد القادر (1832م - 1847م) حارب الأمير عبد القادر شيخ الطريقة التيجانية في عين ماضي 1838م لأنه لم يستجيب لنداء الأمير عبد القادر في الانضمام للمقاومة، ولكنه كان يتعاون مع الفرنسيين ضد الأمير

4ـ أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر** ، ج5 ـ ص 120.

5ـ هي ثورة أولاد سيدي الشيخ في غرب وجنوب الجزائر، وقد إستغرقت سنوات طويلة ومرت على فترات متقطعة ، وأولاد سيدي الشيخ يرجعون في نسبهم إلى الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، انظر : أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج1 دار الغرب الإسلامي .

أما ثاني هذه الخطوات هي استدعائه إلى العاصمة (الجزائر)، أي إبعاده عن مقر الزاوية وقد تم فرض الإقامة الجبرية عليه بالعاصمة ، وثالث هذه الخطوات هي نقله مع أخيه البشير إلى مدينة "بوردو" بفرنسا وأخيرا جاء دور تزويجه [1].

هنا كان أحمد التجاني في مقتبل العمر شابا في حوالي العشرين حسب الروايات الفرنسية، أما "اوريلي بيكار" هذه الطفلة التي ولدت في 12 يونيو 1849م في مدينة "مونتانيي لوروا" حيث كان والدها دركيا خدم في الجزائر في جوقة الشرف ويذكر انه كان فخورا جدا بخدمته تحت العلم ،وكان كثيرا ما يردد حكاياته خاصة انه كان من بين الجنود الذين استولوا على عاصمة الأمير عبد القادر بن محي الدين " الزمالة " سنة 1843م ،وفي 1861م اتبعت "اوريلي" والدها الذي أصبح يعمل لدى الجنرال "فروا ساد" ولما وصل سنها إلى 18 سنة عملت كبائعة في متجر صغير في هذه الأثناء تعرفت على السيدة "ستينا كر" زوجة الحاكم العام للمدينة، فاقترحت عليها أن تعمل لديها وصيفة وعلمتها حرفة العزف على البيانو والصولفاج وبعد ثلاثة سنوات التحقت عائلة "ستيناكر" بالحكومة الفرنسية ،حيث تحول السيد "ستيناكر" إلى وزير البريد لدى الحكومة، هنا تعرضت الحكومة الفرنسية لهجوم من طرف البروسيين الذين قطعوا الاتصالات والأسلاك الخاصة بمورص، مما حدا بها للاستفادة من خدمة الطيور في مراسلاتها خاصة الحمام الزاجل [2] .

وهنا عهد الوزير للفتاة "أوريلي" بهذه المهمة الصعبة ،مما يدل على الثقة الكبيرة التي وضعها فيها وفي« أحد الأيام التي كانت تعتني بالحمام شعرت بوجود جسم خلفها وعندما استدارت صرخت بكل قوتها ، لقد وقف أمامها رجل لم تتعرف على شكله الذي لا يشبه شكل الأوربيين، ولا لباسه مثل اللباس المتعهد لدى الفرنسيين » وقد كان الواقف أمامها هو احمد التجاني الخليفة العام للطريقة التجانية ، الذي كان لا يعي شيأ في ألاعيب الساسة الاستعماريين ، وهو كما قلنا شيخ الطريقة التي ورثها عن أبيه وهنا كان أحمد التجاني مرفوقا بأخيه سي البشير ، أما الغرض من زيارتهم لفرنسا هو حضور مراسيم بدعوة من الحكومة الفرنسية ولكن يبدو أن المخابر الاستعمارية هيأت الأجواء لمشروع مؤامرة كبرى على الطريقة التجانية وذلك بإختراقها في العمق .

حاول الشيخ الصغير أن يحي الفرنسية التي تلعلع جمالها وبياضها في قلبه ومالت جوارحه لها ودار في ذهنه خيال الرجولة أمام منظر الفتاة الطري ولكنه كان عاجزا عن الكلام ولم تسعفه حركة رأسه سمع الصرخة أحد الجنود فتقدم مسرعا وتحدث مع الخليفة بلغة لم تفهمها وقال لها "الشيخ يعتذر لك لأنه أزعجك في عملك وقال إنكم لديكم الحظ لأنكم تعرفون لغة الطيور ورسولنا يقول غناء العصافيرهولغة الملائكة[3]

1ـ أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ،ج5، ص 120-121 .

2ـ عيسى منافع ،(**لألا اورابي بيكارد زوجة السيدين**)،ص 4-7 موقع الشهاب الالكتروني**www.elchihabe.com** .

3ـ هي سياسة انتهجتها فرنسا وهي إرسال أعيان وزعماء الطرق الصوفية لزيارة باريس، والقيام بعملية غسل مخ محكمة أم عن هذه السياسة انظر أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية** ج1، ص239.

"كانت المغازلة الظريفة قد طبعت شيء خاص في قلب الفتاة، أما الشاب التجاني فقد طار عقله مع فتائل شعرها الذهبي وقوامها الرشيق وأردافها الممتلئة، وفي غضون الأيام اللاحقة شاهدت المرأة كثيرا من الشاب الذي أهمه شكلها**[1].**

عندما سمع والدها "بيكار"عاد بسرعة إلى "بوردو" حتى ينذر ابنته من هذا الزواج، لان العرب لهم عاداتهم وتقاليدهم التي لا ترحم المرأة، لكن أين لهذا الجندي المسكين أن يعترض على قرارات أسياده حيث طلب الوزير "ستناكر" من الشابة أن تفكر مليا في مستقبلها ودورها**[2]**، والملاحظة التي يجب أن نتطرق لها في هذا المقال دون أن نمر عليها وهي أن الفرنسيين كانوا في استطاعتهم أن يمنعوا الزواج لو ارادو ذلك ولأنه يتجاوز الحدود الاجتماعية المعروفة علما أنهم فعلوا ذلك من قبل مع غير التجاني **[3]** .

وهنا نجد والد "أور يلي بيكار" وهو "كلود" يقول للتجاني قبل عقد القران " لديا الشرف أن أزوجك ابنتي ولكن هناك بعض التفاصيل التي يجب إن نتحدث فيها قبل أن نصبح عائلة واحدة، وذلك بعد إن أصبحنا شعبا واحدا " قال الشيخ بقلب يكاد ينخلع من أضلعه من شدة الفرح طلباتك وطلبات ابنتك هما طلباتي، وأنا مستعد إن أقدم لها أربعمائة ناقة وألفي معزة ووزنها مجوهرات، وهذا حتى أربط حياتي بحياة كريمتك هز الوالد رأسه وخاف الشاب التجاني أن يكون العرض غير سخي فأردف يقول ستقاسمني حياتي ومملكتي وستعيش متوجة بالبركة ، ووافق الشيخ المتيم أن تبقى زوجته تؤمن بالله على طريقتها الخاصة ولكن العسكري المحنك لم تتوقف طلباته هنا ، فسأل الشيخ عن زوجاته الأخريات والإيماء اللواتي يتسرى بهم فقال الشيخ سأتخلص منهن كلهن بمجرد إن أعود لي عين ماضي" **[4].**

وهكذا فإن زواج احمد الحبيب التجاني باركته السلطات الفرنسية كما باركته كنيسة "بوردو"،وباركه الكاردينال "لافيجري" أسقف مدينة الجزائر**[5]**، وقد كانت مراسم الزواج في الجزائر 1871م وكان ذلك بعد مرور عليه سنة في فرنسا ثم عاد إلى الجزائر، وهنا تم إقامة حفلة تم دعوة رجال الدين والتصوف ليعلنوا أمام الناس أن الزواج قد تم على سنة الله ورسوله وكتبوا العقد الشرعي والشيء الظاهر انه لم يكتب في العقد إن اوريلي" قد اعتنقت الإسلام ولكن الذي أعلن حقا،إن احمد التجاني قد طلق زوجاته الأخريـــات (هكذا بالجمع) لإرضاء زوجه الجديدة وإرضاء القانون الفرنسي الذي لا يبيح تعدد الزوجات **[6].**

---

1 ـ عيسى منافع ،(لالا اورابيي بيكارد......)، نفس المرجع السابق، ص4ـ5.

2ـ نفس المرجع ،ص4 ـ 7 .

3ـ منع الفرنسيون محمد الشاذلي القسنطيني سنة 1849 م من الزواج من فرنسية في باريس ،لأنه كان قاضيا عندهم أنظر كتاب أبو القاسم سعد الله **القاضي الأديب محمد الشاذلي** ط2 ـ1925.

4ـ عيسى منافع ، نفس المرجع ، ص4 -7.

5ـ ساهم لافيجري في دعم الكنيسة الكاثوليكية في تأسيس حركة نشطة للتبشير، وهو الذي أسس جمعية الآباء البيض وجمعية الأخوات البيض ،من اجل القيام بالعمل التبشيري المنظم وقد عاش فترة في بلاد الشام ثم امتد نفوذه من الجزائر إلى تونس ، انظر : أبو القاسم سعد الله ، **الحركة الوطنية الجزائرية** ، ج1 دار الغرب الإسلامي.

6ـ أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر** ، ج5 ، مرجع سبق ذكره، ص 121 ،نقلا عن لويس رين ،**(مرابطون وإخوان)**، الجزائر 1884 ،ص 428.

نستشف من هذا انه رغم أن الإسلام لا يمنع أو يحرم زواج الكتابية من المسلم والعكس غير صحيح، إلا أن التجاني طبق احد قوانين الكنيسة الكاثوليكية ،وهو منع تعدد الزوجات فطلق زوجاته وإيمائه وهو أمر لم يأتي به الإسلام رغم انه شيخ طريقة صوفية مع غض النظر عن مستواه العلمي ،وتطبيقه للشريعة والذي نعتقده هو انه لا يطبق من الشرع إلا مايليق بغرائزه.

وبعدها جاء اليوم الموعود وجهز الشيخ الجمل بالهودج واستعد للانتقال من الجزائر إلى عين ماضي وبعد عشرين يوما من السير، سمعت الأميرة رجال القافلة يصيحون عين ماضي وهي مقر الزاوية التجانية ومملكة سيدي أحمد التجاني ، وتوافد رجال الطريقة يحيون سيدهم ، انقبض قلب الفتاة قليلا : هل هذه هي المدينة والمملكة التي حدثني عنها هذا الرجل ؟ أين ذلك من الحدائق الغناء في مقر الحكومة الفرنسية ؟ شعرت بالبكاء ولكنها تماسكت ولكن وبعد مضي عدة أشهر شعرت القادمة الجديدة بعزلة في هذا العالم الغريب ،وبدأت تنسج العلاقات والتحالفات والتفكير في التأثير على أمر زوجها ، وباختصار نجحت الخطة وبسرعة استطاعت "اوريلي " السيطرة على محيطها واتخذت لنفسها لقبا جديدا "لالايمينة " وبدأت في تشييد قصرها الذي سيحمل اسمها قصر قريب من "نبع الكوردون" البعيد عن عين ماضي ب7 كلم كانت هي المهندسة والمخططة وهي وضعت الأساس **(1)**.

وقد قيل عن هذا القصر أنه كان يجمع في أثاثه ومأكله ومشربه، بين طراز الشرق وطراز الغرب ،أي بين الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية **(2)**، ولكن الأهم من ذلك هو عملها على تنظيم الزاوية لقد لاحظت أن هناك فوضى كبيرة لان العرب لا يحسنون التنظيم، وأعادة هيكلة بنائها .. كان كل شيء يمر على يديها ولم يكن زوجها المسكين يملك من أمره شيئا، فهو يخضع لها وتدوره كما تدور الخاتم في أصبعها ، ونلاحظ أن ابرز أنواع التأثير على الزاوية ،هو إدخال أنواع الطبابة فكانت تظهر على يدها المعجزات فقط عن طريق تعميم النظافة والاغتسال، والاستعمال الصحي للأشياء **(3)**(مع أن تعاليم الدين الإسلامي الصحي تحث على الاغتسال والنظافة ولكن العكس يحدث هنا وهذا راجع لعدم تطبيق تعاليم الدين الصحيحة) .

وبدل أن يكون الشيخ التجاني في زاويته في عين ماضي يستقبل مريده وأحبابه وأتباع طريقته أصبح يستقبل جنرالات فرنسا والسياح والشخصيات في قصر "كردان" برفقة زوجته "أور يلي" وقد كتب الفرنسيون عن حياة هذا القصر وحياة الشيخ فيه وكيف حولته "اوريلي" من وظيفة الزاوية إلى وظيفة اجتماعية أخرى**(4)** .

1ـ عيسى منافع، مرجع سبق، ذكره، ص 4ـ7.
2 ـ أبو القاسم سعد الله، **أبحاث واراء.....**، ج 5 ،مرجع سبق ذكره ،ص122.
3ـ عيسى منافع ،مرجع سبق ذكره ،ص4ـ7 .
4 ـ أبو القاسم سعد الله ،**أبحاث وآراء ...** ،ج5، مرجع سبق ذكره، ص122.

وقد كتبوا عنه بما لا يليق ولايتنا سب مع الزهد والتصوف الذي تحمله الطريقة التجانية رايته مع العلم أن الذي كان يمثل الطريقة على خير وجه هي أسرة الحاج علي بن تماسين وهي حاملة البركة كما قلنا سابقا [1]

كانت (لالة يمينة) تتحرك دائما وفي قلبها فرنسا ،فهي تنصح زوجها في كل ما يتعلق بعلاقاته بفرنسا التي كانت مثل السمن على العسل ، كما طلبت "اوريلي" من السلطات الفرنسية إنشاء مدرسة سنة 1882م وتم استقدام مدرس فرنسي لمدينة عين ماضي، وبعد وفاة محاسب الزاوية تحولت الشيخة "أمينة بيكار" إلى المكلف بالمالية ،وقد لاحظت تراجع كبير في المداخيل ورافقت زوجها في خرجاته لجمع الأموال والصدقات والتبرعات ،كما خططت من جهتها لتطوير أعمال الزاوية بطريقتها الخاصة وبدأت في إحداث استثمارات فلاحيه، حتى يعود دخلها للزاوية وإنشاء مدرسة جديدة في منطقة "كوردان" [2]

أما احمد التجاني فقد عاش إلى سنة 1897م حزينا متذمرا من تجريده من البركة الصوفية، وقد كان الفرنسيون يستعملون مع ذلك اسمه واسم طريقته في تحقيق أغراضهم بإفريقيا جنوب الصحراء [3]، وفي 20 افريل 1897م توفي زوجها سي أحمد[4]،حيث أقاموا له تأبينا رسميا في عاصمة الجزائر تم دعوة رجال الدين وشيوخ الطرق الصوفية وكبار المسؤولين يتقدمهم الحاكم العام "جون كامبون" نفسه ،وعلى اثر هذه المراسيم أمر "كامبون"البشير التجاني إن يتزوج "اوريلي" زوج أخيه الفقيد ، ولم يكن البشير يملك إلا الإذعان للأمر و ما نظنه إلا فعل مثل أخيه وطلق زوجاته إرضاء لعروسته وقوانين بلادها [5] .

وفي ربيع 1899م قام السيد "مارتي باسين" بزيارة أميرة الصحراء وقد طلبت منه كتابة حياتها الخاصة في هذه المملكة وعلى الطريقة التجانية وكانت نتائج ذلك مؤلف باسم "اوريلي بيكار" التجاني أميرة الصحراء" ، وفي عام 1903م تم تعيينها ضابط "بالاك.ادمية" وبعد بضعة سنوات توفي زوجها الثاني في 9يونيو 1911م وتولى ابنه علي مهام الطريقة لكن لالة أمينة كانت تكره هذا الولد فغادرت عين ماضي الى الجزائر العاصمة وعادت إلى قصرها في 1914م بطلب من الحاكم العام للجزائر وذلك بغرض تشجيع الشباب العرب للالتحاق بالجيش الفرنسي للدفاع عن فرنسا [6] .

وفي1920م عادت إلى بلدها الأصلي في فرنسا ولكنها سرعان ما عادت إلى الاغواط في 1922م وهنا شاركت في حل النزاع الذي ظهر في الطريقة التجانية بعد وفاة سي علي في 1918م وقد طلب منها الشيخ محمد بالبقاء في قصرها وتولى مهام تسيير شؤون الطريقة مثلما كان الحال في السابق ولكن الجو الجديد لم يعجبها فرجعت لفرنسا ولكنها شعرت بقساوة البرد الذي لم تتعود عليه فعادت إلى الجزائروبقية في البليدة

1ـ أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء ...** ،ج5، مرجع سبق ذكره ،ص122.
2ـ عيسى منافع ، مرجع سبق ذكره ،نقلا عن مارتي ياسين ومؤلفه اوريلي بيكار التجاني أميرة الصحراء MARCHE BASSENNE PICARD **TIDJANI PRINCESSE DES SABLES AURELIE**
3ـ أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج5 ، مرجع سبق ذكره، ص 122.
4- عيسى منافع ، مرجع سبق ذكره، ص 4-7.
5 - أبو القاسم سعد الله ،**أبحاث وآراء في تاريخ** ..،.الجزء 5 ،ص 123،122.
6- عيسى منافع ، مرجع سبق ذكره ، ص 4-7.

ثم انتقلت إلى سيدي بلعباس وعادت إلى عين ماضي في 2ماي 1928م،وفي 9يناير1931أعطي لها وسام الشرف من طرف وزارة الحربية، وماتت بعين ماضي في 23اغسطس 1933 ، كان عمرها 84سنة (1)

يقول الدكتور عمر فروخ « "الطريقة التجانية " التي كانت تسيطر على الجزائر أيام الاستعمار ، معروف أنها كانت تستمد وجودها من فرنسا وان إحدى الفرنسيات من عميلات المخابرات تزوجت شيخا فلما مات تزوجت بشقيقه، وكان الأتباع يطلقون عليها زوجة السيدين ويحملون التراب الذي تمشي عليه لكي يتيمموا به وهي كاثوليكية ما زالت على شركها ....وقد أنعمت عليها فرنسا بوسام الشرف ،وجاء في أسباب منحها الوسام ...أنها كانت تعمل على تجنيد مريدين يحاربون في سبيل فرنسا كأنهم بنيان مرصوص » (2)

وفي الأخير نقول أن "اوريلي" التجاني عاشت حياة طويلة وعاصرت الأحداث التي تدخلت فيها الطريقة التجانية لصالح فرنسا وخاصة فترة البعثات الاستكشافية في افريقية والمغرب، وتماشيا مع التقاليد لم تكن "اوريلي" كثيرة الظهور في الأوساط الإسلامية وإنما كانت تقوم بمهمتها في الخفاء والشيء الملاحظ والمعروف هو أن البركة الصوفية قد آلت إلى زوجها البشير بينما حرم منها زوجها الأول، وهذا ربما لانحرافه حسب تعبير المجلة الفرنسية ، وقد توفيت "اوريلي" سنة 1934م ونوه بها الفرنسيون للدور الذي قامت به ، ومن الذين فعلوا ذلك المستشرق"ايميل ديرمنغام" "e.dermingham" الذي قال عنها أنها ماتت فرنسية وحملت معها أسرارها الى قبرها (3) .

3 ـ إيزابيل ايبرهارد :

"إيزابيل ايبرهارد" هي الأخرى فتاة مغامرة لعبت دورا يختلف إلى حد ما عن دور زميلتيها "لوس" و "او ريلي" وقد تمركز دورها في دخولها للطريقة القادرية، وتحديدها للتقاليد وازدواجية شخصيتها ولكن نحن هنا لا نقارن بين النساء الثلاثة ،وإنما نحاول أن نعرف دور كل منهن في التحدي للمجتمع وكيف مثلت كل واحدة منهن الدور المسنود إليها أو الذي اختارته لنفسها (4).

ولدت "إيزابيل ايبرهارد" في سويسرا عام 1877م، ولم يعرف لها أي والد ولكن تعارف المؤرخون الذين اهتموا بحياة الفتاة المغامرة بالقول أن والدها المفترض هو "الكسندر تروفيموسكي" أي أنها من أصول ألمانية روسية، كانت حياتها تمثل نموذج المغامرة و التنوع وهي بحسب المؤرخين الغربيين تنتمي إلى موجة الفوضويين، حيث مارست كل أشكال الانحراف في حياتها الأولى مثل المخدرات والعلاقات الجنسية المتعددة ، ولكن حياتها تأثرت بوضعها الأسري غير المستقر حيث توفيت والدتها بشكل مفاجئ في 1898م وفي السنة التي تليها 1898م انتحر أخوها "فلاديمير" ثم مرض والدها بمرض عضال في 1899م (5) .

1ـ عيسى منافع ، مرجع سبق ذكره، ص4ـ 5.
2ـ نفس المرجع، ص4ـ 7.
3ـ أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، الجزء 5، مرجع سبق ذكره، ص123 .
4ـ نفس المرجع، ص123
5ـ عيسى منافع ،مرجع سبق ذكره، ص 3- 4 .

وقد تنقلت "إيزابيل" في فرنسا وأتقنت عدة لغات من بينها العربية التي لا نعرف أين ولا كيف تعلمتها، فقد كانت تحمل جواز سفر روسي صادر عن موسكو وسكنت باريس فترة، وهناك عاشت الحدث الذي هز المجتمع الفرنسي ، وهو قضية "دريفس" وانقسام الرأي العام إلى متقبل للسامية والى مضاد لها [(1)] وهناك قضية أخرى والتي ستغير حياتها، وهي أن احد الأعيان واسمه الماركيز "دي موريس" قد قتل جنوب تونس وان السلطات الفرنسية كانت منقسمة إزاء هذا الحادث هو الأخر فالبعض يريدون إخفاء الضجة وعدم تتبع القتلى ، والآخرون يريدون العكس وقد انضمت" إيزابيل" إلى هؤلاء وتحمست للكشف عن قتلة "دي موريس" [(2)].

وصلت "إيزابيل" إلى تونس رفقة والدها وأخذت تتبع الأخبار وتتسقطها ،وللوصول إلى مصادرها كانت تلبس لباس التونسيات الحضريات حينا والريفيات حينا آخر، وتنتقل داخل البلاد لتدخل بعدها مدينة عنابه في الجزائر وهناك تركت أمها وتوجهت إلى العاصمة، حيث ربطت علاقات مع رئيس تحرير جريدة واسعة الانتشار هي جريدة "الأخبار" الفرنسية اللغة رغم اسمها العربي ورئيسها هو "فيكتور باروكان" "v.barroucan"الذي أصبح من أصدقائها و ناشري آثارها بعد موتها ،ومن مدينة الجزائر توجهت الى الجنوب حيث الواحات وانتهى بها المطاف إلى واد سوف خلال شهر (أب) سنة 1900م، وذلك حين كانت الحرارة تبلغ 25درجة [(3)].

وكانت "إيزابيل" تعرف بلا شك التنافس بين الطريقتين التجانية والقادرية في المنطقة [(4)] كما أنها كانت تعرف على ما يبدوا أن السلطات الفرنسية تتهم الطريقة التجانية بأنها كانت وراء مقتل "دي موريس" ، ولكن هذه السلطات لا تريد إثارة الضجة ولا الكشف عن الأمور لحاجتها إلى خدمات التجانية ومحافظة على سمعتها ، ولذلك سارعت "إيزابيل" إلى واد سوف بالدخول في الطريقة القادرية على يد شيخها الهاشمي بن إبراهيم وهكذا حملت السبحة وحضرت الحضرة ورددت الأوراد الصوفية وصامت رمضان وشاركت في توديع الشيخ وسط جمهور الأتباع ، بل حتى أن السلطات الفرنسية كانت تتهمها بأنها كانت على علاقة شخصية مع الشيخ نفسه [(5)].

1ـ كان "دريفس" عقيدا في الجيش الفرنسي، وقد فسر إخراجه من الجيش عنصريا مما تسبب في تصدع المجتمع الفرنسي، الذي كان يسير نحو العلمانية وفصل الدين عن الدولة .

2ـ أبو القاسم سعد الله،**أبحاث وآراء في تاريخ** ... ج 5، ص 124.

3 ـ أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ** ... مرجع سبق ذكره ،ص124 ، أما الكتاب الذي ترجم بعمق "لاايبرهارد" هو "إيزابيل ايبرهارد" تأليف "انيت كوباك" سنة 1989م وهناك عدة كتب تتحدث عن أدبياتها وغرامياتها وسيرتها المضطربة .

4ـ كانت السلطات الفرنسية تضرب طريقة صوفية بأخرى، لتستفيد من الجميع مثلا استعمل الفرنسيون القادرية في تونس بينما اعتمدوا على التيجانية في الجزائر، ومن مظاهر دعمهم لطريقة ضد أخرى التغاضي عن تبرعات الأتباع لشيوخهم ،بل ودعم أنشطة شيخ الطريقة المفضلة بتقديم المواد الغذائية أثناء الاحتفالات والولائم لتكثير الأنصار لها .

5ـ أبو القاسم سعد الله ،**أبحاث وآراء** ... ج5، ص124ـ 125.

أما المسؤول الفرنسي في واد سوف هو الضابط "قاستون" كوفية"، فهو الذي كان يراقب تحركات هذه الزائرة الغريبة ونشاطها المشبوه ومغامراتها الغير عادية [1] ،فهي بالإضافة إلى نشاطها داخل الطريقة القادرية كانت تتعاطى "الكيف " - حشيشه مخدرة- وتلبس لباس الفتيان وتركب الحصان وتقضي الليالي مع عشيقها سليمان وسط النخيل [2]، ولكن هناك من يقول "أنها تزوجت سليمان هني في 1900م وهو جزائري عربي مجند في الجيش الفرنسي وأقامت هناك في عمق الصحراء ..."[3].

وكما قلنا فان هذا العاشق الولهان هو من الجنود العاملين تحت إمرة الضابط "كوفية" ، كذلك جلبت "إيزابيل" أنضار الفرنسيين على أعلى مستوى وقد جاءت التعليمات بطردها لأنها في نظرهم جاسوسة للمخابرات الألمانية [4].

وتم في المحكمة طردها إلى فرنسا وبشكل غامض ربما محاولة لإخفاء شخصيتها الحقيقية [5]، وبينما كانت "إيزابيل" تتبع أخبار قتلة "دي موريس" وتمارس نشاطها كمريدة قادرية ،وقع عليها اعتداء كاد يودي بحياتها ، حيث ضربها الجاني على رأسها بعصا غليظة ولكن "إيزابيل" كانت تضع على رأسها نوعا من العمامة وذلك هو بلباس أهل المنطقة في موسم الشتاء ، فكانت الإصابة قوية ولكنها غير مميتة وقد عولجت في المستشفى العسكري بالوادي [6]، وقد كان ذالك في سنة 1901م أما الشخص الذي حاول قتلها هو من مدينة البهيمة [7].

وكان الجاني من أتباع التجانية، حيث انعقدت المحكمة الفرنسية في قسطنينة وحضرتها "إيزابيل" والشيخ الهاشمي أيضا وقد أثبت الحكم تواطؤا السلطات المحلية والطريقة التجانية في قضية "دي موريس" ، أو على الأقل هذا ما خرجت به "إيزابيل" وشيخها ، كما أن "إيزابيل" كانت تستعمل قلمها البارع وعلاقاتها الشخصية المؤثرة، ومن ذلك أنها بدأت الكتابة في جريدة الأخبار التي كان يديرها كما قلنا زميلها "فيكتور" وهو الذي توسط لها حتى تعود إلى الجزائر حين تم تعيين زوجها كموظف في مدينة تنس ولكنها سرعان ما عادت إلى سلوكها القديم والتحقت بالجنرال "ليوتاي " في عين الصفراء لتهدئة المنطقة التي لم تكن قد خضعت لفرنسا بعد ،حيث استقبلها الجنرال أحسن استقبال و اتخذ لها سكنا في نفس المدينة[8] .

1– كان كوفية هو رئيس الوحدة الإدارية العسكرية الفرنسية المسماة المكتب العربي، وهو الجهاز المسؤول عن الأمن العام والعلاقات مع السكان ومراقبة النشاط الاقتصادي والتجاري لهم.
2– أبو القاسم سعد الله ،**أبحاث وآراء ...** ،الجزء الخامس، ص 125 .
3– عيسى منافع ،مرجع سبق ذكره ،ص3– 4 .
4– أبو القاسم سعد الله ،**أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، ج 5، ص 125.
5– عيسى منافع ،مرجع سبق ذكره ،ص3– 4.
6– أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء...** ،ج 5 ،ص 125 .
7– عيسى منافع، مرجع سبق ذكره، ص 3– 4 .
8– أبو القاسم سعد الله، **أبحاث وآراء ...** ،ج5 ،ص125 .

وتقول الروايات بأنه كلفها باختراق زاوية القنادسة، كانت "إيزابيل" تقول (حلمي هو متابعة حملة عسكرية) وقد كتبت في جريدة "لاديباش "الجزائرية بان مشرف زاوية سيدي إبراهيم يقدم مراسيم الطاعة الكاملة لفرنسا (1).

إذا ظلت "إيزابيل" تنتقل بين مدينة الجزائر والواحات وباريس، فزارت "لآلا زينب" شيخه الطريقة الرحمانية في بوسعادة وكتبت عنها (2) كما ألفت كتابا نشر مسلسلا بعنوان "في ظل الإسلام الدافئ "في جريدة الأخبار، كما كانت تراسل الصحف الفرنسية في الجزائر وفرنسا، وقد كسبت أصدقاء من شيوخ الطرق ومن العرب الذين تدعى أنها أعجبت بهم في أشخاص عشاقها ولا سيما سليمان ، كما أنها صادقت الفرنسيين على غرار الماريشال "ليوطي" والصحفي "باروكان" وقد تركت بصماتها في الأدب الفرنسي بإنتاجها الغزير وأسلوبها المتميز، ولكنها بلباسها وسلوكها تحدت المجتمع والتقاليد العربية الإسلامية في الجزائر (3).

وفي صيف 1904م كانت "إيزابيل" في واحة أخرى هي العين الصفراء الواقعة بالجنوب الغربي للجزائر، وقد كانت تواصل مهمتها في البحث عن الأخبار الخاصة "بدي موريس" وغيره فإذا بالجو يكفهر وإذا بالعاصفة ترسل السماء مدرارا، فتجرف مياه الوادي الهادر الحي والميت وعندما هدأت العاصفة تقدم الجنود الذين كانوا بالقرب من المكان للبحث عن "إيزابيل" فوجدوها جثة هامدة محصورة بين باب غرفتها والحائط وقد كان عمرها حوالي 25سنة (4).

ولكن رغم اختلاف قضية هذه المرأة عن النساء الأخريات اللواتي تحدثنا عنهن، فان الفرنسيين لا شك في أنهم استفادوا من "إيزابيل" الكثير عن نشاط الطريقة القادرية وعن منافستها للطريقة التجانية وعن التوتر الذي أصاب العائلات القيادية من جراء هذا التحدي ، ولا سيما إذا عرفنا أن "إيزابيل" كانت تشارك في مختلف أنشطة الزاوية وتخالط العامة وتدخل البيوت وتمشي في الأسواق بمبا ذلها الغريبة والمثيرة ليأتي أصدقائها وبعد أن تم دفنها في مقبرة سيدي بوجمعة وفق التعاليم الإسلامية، قام صديقها "بريكاند" والجنرال "ليوتاي" و"لوسي ديلار" و "ماماردوس" بتأسيس جمعية ذكريات "إيزابيل ايبرهارد" سنة 1930م وقامت الجمعية بنشر كل ما كتبته هذه المغامرة، مما تم إنقاذه من الوحل فأخرجوا إلى الوجود عدة منشورات(5).

1ـ عيسى منافع، مرجع سبق ذكره، ص3ـ 4 .
2 ـ كانت لإله (سيدة) زينب من النساء النوادر اللائي تولين مشيخة إحدى الطرق الصوفية، وهي الطريقة الرحمانية (نسبة لمؤسسها الشيخ محمد بن عبد الرحمان الأزهري المتوفى بالجزائر سنة 1208ـ 1793)، الرحمانية تعد فرعا للخنوتية التي كانت منتشرة في مصر خلال القرن الثامن عشر الميلادي ، انظر أبو القاسم سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي ...** ،ج4+ج5 .
3ـ أبو القاسم سعد الله ، **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ..**،.الجزء 5 ، ص 126 .
4ـ نفس المرجع ، ص 126.
5ـ نفس المرجع ، ص 126 .

وصلت إلى أربع مجلدات مختلفة وفي فترة قصيرة جدا قامت إيزابيل بكتابة عدة مقالات عن عين الصفراء المغرار، حجرة ، لمغيل [1] وقد قامت بزيارة لوجدة بالمغرب، وقامت بزيارة لزاوية في منطقة حمام الفوقاني، هذه التحركات الكثيرة لم يكن من السهل أن تقوم بها امرأة بعيدة عن التغطية المباشرة للسلطات الاستعمارية ، تقول عنها الباحثة "جوليات ستيفنسون" "STEVENSON" « إن إليزابت كانت ألهيبي الأول في التاريخ ، كانت تسافر بدون مال وتعيش بحسب يومها ولم يكن لها أي مبدأ له قيمة بالنسبة لها وتميزت برغباتها الجنسية غير المحدودة ، كانت تدخن العفيون والكيف وتلبس مثل الرجال » [2] .

لقد ظلت حياة هذه المغامرة غير معروفة لأنه بخلاف أسلافها لم يجد المؤرخون من ضمن ما كتبته أية إشارة لعملها الحقيقي، وعلاقاتها بالسلطة الفرنسية وبقيت قصتها غامضة تلفها كثير من دوائر الظل ، ولكن عندما نعلم أنها كتبت كل تفاصيل حياتها لحظة بلحظة، وان في كل هذه التفاصيل المنشورة هناك محطات مقطعة وعدم وجود تسلسل يتبين السر الحقيقي، وهو الذي لعبه الجنرال الذي جمع أوراقها وهو نفسه الذي قام بتصفيتها وتنقيتها ونشر فقط ما يمليه عليه واجبه المهني ، فظلت دوائر الظل تطاردها إلى الأبد [3] .

1ـ عيسى منافع، مرجع سبق ذكره، ص 3-4 .
2 - عيسى منافع ، مرجع سبق ذكره ، ص 4 -7.
3ـ نفس المرجع ، ص 4-7 .

الخاتمة

وفي الأخير استخلصت من هذا البحث مجموعة من النتائج وهذا بداية من أنه بعد إعداد الحملة على الجزائر في ربيع 1830م وتأسيس هيئة المترجمين العسكريين هذه الأخيرة التي ستلعب دور كبير في تغلغل الفرنسيين في المجتمع الجزائري وهذا راجع الى أن أعضائها كانوا هم الواسطة بين السلطة الفرنسية والأهالي الجزائريين وهذا منذ أن دخل الفرنسيون عبر سيدي فرج الى الجزائر والإعلان عن البيان الذي تم توزيعه على الجزائريين لزرع الشك والبلبلة، وقد خَرجت هذه الهيئة العديد من العناصر البارزين الذين كان لهم الدور الفعال في سير الأحداث فيما بعد وهذا على غرار المترجم الجاسوس ليون روش الذي تطرقنا له كنموذج من نماذج الذين خرجتهم هذه الهيئة .

وقد وصل ليون روش الى الجزائر في منتصف سنة 1832م وهذا بغية مساعدة والده في القيام بشئون مزرعته وقد تعلم اللغة العربية ليسهل عليه الاتصال المباشر مع أجراء ابيه وقد استغل روش معرفته للغة العربية ليعمل في رتبة مترجم محلف لدى اللجنة الإفريقية الأولى سنة 1833م ويعين من طرف الماريشال كلوزيل في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الإفريقي سنة 1835م وأخذه معه كذلك في حملة على المدية في نفس السنة وهنا بدأ روش مهنته الجاسوسية الأولى لصالح بلاده وهي أنه لما دخل مدينة المدية أخذ في الاتصال بمعارفه من الأهالي واغتنم الفرصة للاطلاع على رأى الأهالي في الباي محمد بن حسين الذي يأمل أن يعينه الجنرال على المدية وقد وفق في نصح الجنرال بأن تعيين هذا الباي على المدية أمر لا يخدم مصالح فرنسا .

وعندما عقدت معاهدة التافنة مع الأمير عبد القادر الجزائري في 30ماي 1837م وتفرغت فرنسا الى الحملة الثانية على قسنطينة أسرع روش الى الالتحاق بجيش الامير أو دولته وذلك بهدف التجسس على المسلمين تحت ستار الدين ، وقد آمن المسلمون في إسلامه وعاملوه معاملة حسنة فاستتب له الأمر بعد ذلك وبدأ ليون روش يراسل الفرنسيين ويخبرهم عن جميع أحوال الامير والمسلمين السياسية والعسكرية والإدارية والاقتصادية ــ كما ساهم ليون روش في استغلال ثقة المسلمين فيه وباعتباره مستشار الامير فاخذ يبث سمومه بينهم وهذا وراء ستار تنوير هم وإطلاعهم على الحضارة الفرنسية ، ولكنه في حقيقة الأمر كان يستعمل سياسة فرق تسد

وكان اكبر مموه استعمله روش لخداع المسلمين والأمير عبد القادر هو اعتناقه الدين الإسلامي وهو يريد من وراء ذلك كسب ثقة المسلمين أولا ثم التعرف على أحوالهم وتحويل ولائهم ثالثا الى فرنسا ونستشف ذلك من رسالته الى النقيب دوماس التى يقول له فيها انه ما اعتنق الإسلام والتحق بالأمير إلا خدمة لبلاده وانه سيفارقه عندما يستأنف الحرب ضد فرنسا .

حتى الأمير عبد القادر قرب روش منه وجعله أمين سره حتى انه كان ينفق عليه من بيت مال المسلمين وعينه كاتبه الخاص وكان روش على اطلاع من الأمير على جميع قرارات مجالسه السرية كما أن روش كان يقرأ للأمير ما كانت تنشره الصحف الفرنسية ومن يدري ربما كان روش يخفي عليه الحقائق .

كذلك نرى خداع روش للمسلمين وذلك أنه أخفى محتوى المهمة التى أرسله بها الأمير عبد القادر الى التجاني (أثناء حصار عين ماضي) وذلك كي يخبره أن ما يريده الأمير من حملته على عين ماضي إلا جمع كلمة المسلمين ضد العدو الفرنسي لكن روش عمل عكس ذلك وأخذ يعمل على تحريض التجاني على محاربة الأمير والصمود أثناء الحصار وأخبره أن حصانة عين ماضي ستكون أقوى من جيش الأمير وقد أراد روش من وراء هذا الأمر تشتت كلمة المسلمين وإضعاف قوتهم وليته اكتفى بهذا فقط بل تعداها الى إضعاف حتى قوة الأمير الداخلية فبعد أن استلم قيادة فرقة الكراغلة أثناء المعركة فتركهم روش يبذرون الذخيرة رغم انه كانت تجب عليه مراقبتهم على اثر ذلك كاد جيش الامير إن ينهزم أمام حصار عين ماضي هذا لولا الذخيرة التي وصلته من المغرب والجزائر.

رغم كل هذا بقي الامير وأعوانه غير متفطنين لخيانة روش وعمله لصالح الجهة المقابلة بل على العكس راح الامير يثني على روش وينوه بدوره في الحرب حتى انه منحه وسام " الريشة" اعترافا منه بالمجهود أي بذله في الحملة ليغتنم روش هذه الفرصة ويطلب من الامير إن يمنحه مهمة تفتيش مصانع الأسلحة والذخيرة ليعمل على تخريبها بمساعدة بعض الفارين الفرنسيين المكلفين بإدارة هذه المصانع ولكن ثقة الامير في روش كانت كبيرة لدرجة انه عندما صارحه انه لم يكن مسلما أبدا لم يتخذ الامير أي إجراء ضده بل تركه دون إن يوصي بمراقبة تحركاته ورحل الى تلمسان عند ذلك اغتنم روش فرصة غياب الامير وفر راجعا الى الجيش الفرنسي في شهر نو فمبر 1839م وهذا بعد إن اطلع على أدق أمور المسلمين السياسية والعسكرية وعرف سر ضعفهم الذي كان يكمن في اختلاف تعاليم الطرق الدينية التي نتبعها نحن .

وعند وصوله إلى إقليم وهران قام بإ بلاغ كل ماجمعه من معلومات حول أحوال الامير الى حاكم إقليم وهران هذا الأخير الذي استقبله بحفاوة لينال بعدها مترجم محلف من الطبقة الثانية في الجيش الإفريقي ، وكلفه المرشال " فالي " إن يحصي له كل القبائل الخاضعة للأمير بأسمائها وشيوخها وعددها وعدتها ، وهذا باعتماده على الوثائق التي جمعها روش خاصة المعلومات الإحصائية والطبو غرافية للقبائل

وهكذا ارتفع شان روش عند كبار العسكريين والساسة الفرنسيين فتم استدعائه الى باريس سنة 1840م ، ليرقى الى درجة مترجم من الطبقة الأولى وعاد ليعمل مع الدوق " دور ليون " الى الجزائر والتحق بمركز المترجمين العسكريين بالبليدة ونظم اتصالاته مع معارفه من رؤساء القبائل وجمع معلومات كثيرة عن أحوال الامير فبلغ بذلك مرتبة كبيرة في نفس الحاكم الذي عينه مترجم رئيسي له.

وعندما وصل الجنرال بيجو الى الجزائر سنة 1840م قدم له روش تقارير مفصلة عن الأحوال السياسية والعسكرية للإقليمي الجزائر ووهران مكنت الجنرال من التخطيط بدقة لعملياته المقبلة ضد الامير ، هنا شد روش انتباه بيجو إليه وأعجب به واسند له مهمة الحصول على فتوى من علماء المسلمين في القيروان ثم الأزهر فالحجاز والتي سنتحدث عنها فيما بعد تقيدا بالخطة .

والملاحظ إن روش كان يريد مواجهة الامير عبد القادر بكل الوسائل ولما كان الامير يمول جيشه من المغرب أراد روش إن تغلق عليه هذه المنفذ ودخل الجيش الفرنسي ضد الجيش المغربي على الحدود ، عاد روش الى عملياته الجاسوسية ليتعرف على عدد وعدة الجيش المغربي المتمركز في طنجة ووجده وتازة ومكنت المعلومات التي جمعها روش من تحقيق الجنرال بيجو للانتصار على الجيش المغربي وتم عقد معاهدة طنجة مع مولاي محمد في سبتمبر 1844م ، بموجبها تعاهد سلطان المغرب بمنع المساعدات المادية والمعنوية للأمير عبد القادر ، لتسطر بعدها الحدود الجزائرية المغربية لوضع السلطان المغربي أمام الأمر الواقع للوفاء بوعوده ، حيث حرر الجنرال" دي لاري " مشروع المعاهدة الجديدة معاهدة " للا مغنية " ووقع عليها ممثلو السلطان في وجدة في 18 مارس 1845م وتضمنت هذه المعاهدة مشروعين الأول يتعلق بتوضيح الحدود الجزائرية والمغربية واعتراف سلطان المغرب بسلطة فرنسا على الجزائر وحقها في متابعة القبائل الجزائرية داخل التراب المغربي وينص المشروع الثاني على حرية التجارة البرية بين فرنسا والمغرب وبينما وقع الملك الفرنسي على المشروعين رفض السلطان مولاي عبد الرحمان التوقيع على معاهدة كان يرى فيها المس بكرامته وتخالف الشريعة الإسلامية لترسل فرنسا ليون روش ليقوم ببحث المسالة المغربية ويطلب من المغرب أيضا سفارة الى باريس لبحث العلاقات بين الطرفين ونشر دعاية مفادها إن الملك الفرنسي وقع فقط على نص مشروع مسالة الحدود واجل مشروع المعاهدة الثاني المتعلق بالجانب التجاري وهذا لتصادم المصالح بين الدول الأوربية منها الانجليز واسبانيا وفيها تهديد للمصالح المغربية ، وبعد هذه الخدعة من طرف روش توصل الى توقيع سلطان المغرب على معاهد ة" للا مغنية " بما في ذلك البنود التي تقول بسلطة فرنسا على الجزائر وحقها في متابعة القبائل الجزائرية داخل التراب المغربي بعدها كسب روش أتباع له في المغرب كان يستعملهم كعيون له في المغرب ، مع استعمال أسلوب الخداع والرشوة وسياسة التفرقة وهذا كله بغية غلق جميع الأبواب أمام مقاومة الامير والقضاء عليها لكن الامير لم يستسلم وراح ينضم غزواته ضد الجيش الفرنسي حتى بدية سنة 1846م حينما تدخل روش مرة أخرى ليقنع سلطان المغرب بخطورة الوضع حتى انه طلب منه إرسال فرق عسكرية ضد القبائل الريفية (تابعة للمغرب) التي تعمل على مساعدة الامير وتهدد عرشه (مولاي عبد الرحمان) ، فوافق مولاي عبد الرحمان على اقتراح روش وأرسل قوات في أواخر سنة 1847م للقضاء على الامير والقبائل المغربية التي

تساعده وهكذا يكون روش قد ربح معركة أخرى ضد الامير وهذه المرة في الجبهة المغربية الجبهة الأخيرة التي بقية للأمير عبد القادر.

أما رحلة ليون روش التي خصصت لها فصل وذلك لأهميتها هذه الرحلة التي قام بها روش رفقة بعض أصحاب الطرق الصوفية (التيجانية) ، وهذا بطلب من المارشال" بيجو " حيث كانت هذه الرحلة الى علماء القيروان للموافقة على الفتوى فوافقوا عليها لكنهم طلبوا منه إن يذهب الى علماء الأزهر بمصر والحجاز فأكمل روش رحلته الى ماطا ومنها الى مصر ، وقد كان روش يرتدي لباس عربي إسلامي ، ووصل الى مصر ومنها انتقل عبر ينبع البحر (مناء على البحر الأحمر) ومنها الى المدينة المنورة ومنها الى مكة والى الطائف ، حيث منزل شريف مكة (الشريف عون) ، ولكنه كشف أمر روش في الوقوف بعرافات من طرف بعض الحجاج الجزائريين ، كما إن روش كان يصف المسالك في طريقه وكل المدن التي زارها كما وصف بعض المظاهر من الحياة الاجتماعية ووصف دعوة محمد بن عبد الوهاب التي كانت صدى ثورتهم مع الدولة العثمانية (محمد على باشا) ، كما قارن روش بين الامير عبد القادر وشريف مكة ، وبين المسلمين في مكة وفي المغرب (المقاومون ضد الاحتلال) أما الفتوى فقد وافق عليها العلماء الذين كان يجمعهم الشريف عون كل سنة ، لكن الشيخ السنوسي لم يوافق على نص الفتوى ولكن صدى هذه الفتوى التي أرسلها روش الى المارشال" بيجو " لنشرها لتكون عائق أمام المقاومة لم تلاقي نجاح لأن مقاومة الامير استمرت الى 1848م وهي كانت في بداية الأربعينات ، لكن روش لم يعد الى الجزائر ولا لفرنسا ولكنه عاد الى روما ، وبقرار من ملك فرنسا لويس فليب طلب منه العودة الى الجزائر وبدا مفاوضاته مع السلطات المغربية كما قلنا سابقا .

أما عن نماذج لنساء الأوربيات في الجوسسة في الجزائر فلدينا هناك ثلاث نساء هن لوس الليكس التي كانت تعمل في ورشة للخياطة وكانت تريد التغلغل داخل الأسرة الجزائرية حتى أنها كانت تتلقى دعما من المرشال بيجو ، ونجحت في مهمتها حتى وصل عدد تلميذاتها حوالي 40 وأكثر ، واقتدت بها أخريات فرنسيات ، أما اوريلي بيكار فكان دورها في الزاوية التجانية ـــــ التي منذ عهد حصار عين ماضي وعلاقة روش مع شيخها وهي تخدم لصالح فرنساـــــ واستطاعت إن تغير تفكير الموريدين هذه المرأة التي زوجها الأب لافيجري وما أدراك ما لافيجري ومن هذا الوقت ستسيطر فرنسا على إفريقيا جنوب الصحراء بواسطة هذه المرأة وأعمالها

أما ايزابيل ايبرهارد هذه التي كانت تعمل مع الطريقة القادرية ضد الطريقة الجانية وكانت تتنكر في زي رجل وتمارس كل الأعمال المخلة بالحياء فحياتها مازالت يكتنفها الغموض لأن الذين كتبوا حياتها (أصدقائها لم يذكروا بعض الحقائق .

ملحق رقم : 01



صورة ليون روش

المصدر : www.elchihabe.com

الملحق رقم : 02

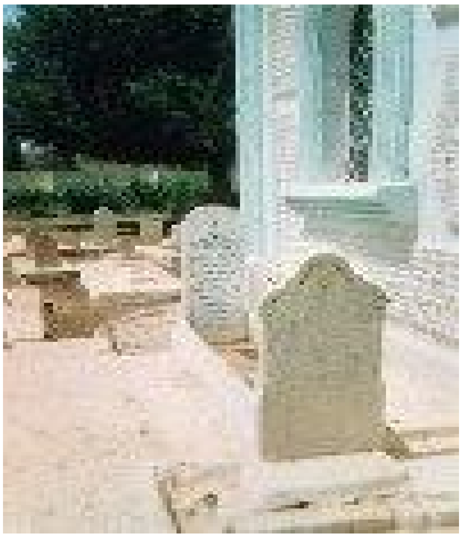


المصدر : الموسوعة الحرة الأمريكية ويكيبيديا

الملحق رقم : 03



قصر اوريلي في الاغواط



قبر اوريلي بيكارد



صورة الأب لافيجري



صورة اوريلي بيكار

المصدر: موقع الشهاب الالكتروني

الملحق رقم : 04



إيزابيل ايبرهارد في زي رجل



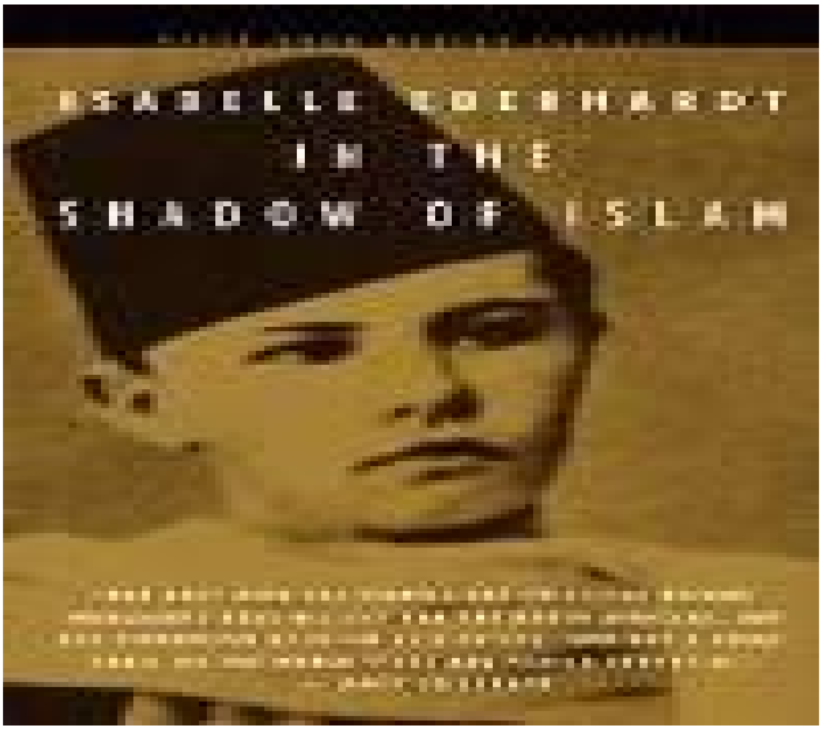
صورة إيزابيل ايبرهارد

المصدر: موقع الشهاب الالكتروني

الملحق رقم : 05



صورة زيتية لرحلة ليون روش إلى الحجاز



صورة إيزابيل ايبرهارد

المصدر : موقع الشهاب الالكتروني

الملحق رقم :06

Accompagnant le Maréchal Clauzel à Médéa, où il sauve le général Gastu, il devint, ensuite, l'ami et le secrétaire de l'Emir Abd-El-Kader, avant de rejoindre l'armée française, où il sera un agent très actif du Maréchal Bugeaud.







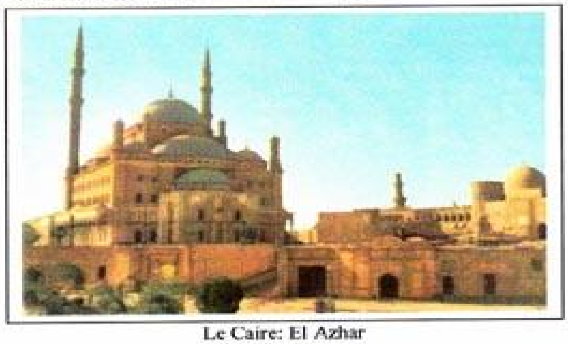


LÉON ROCHES

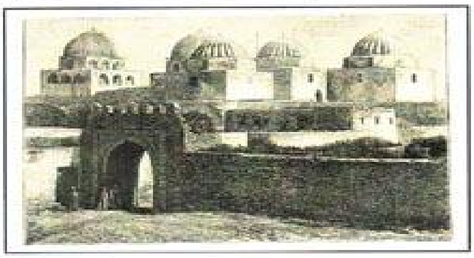
LEON ROCHES

Grenoble, 27 septembre 1809 – décembre 1901

Ira à Kairouan, Le Caire et La Mecque pour obtenir une "FETTOUA" (arme à double tranchant) destinée à faciliter la conquête et la pacification de l'Algérie:



Le Caire: El Azhar



Kairoan

"Quand un peuple musulman, dont le territoire a été envahi par les infidèles, les a combattus aussi longtemps qu'il a pu conserver l'espoir de les en chasser, et, quand il est certain que la continuation de la guerre ne peut amener que misère, ruine et mort pour les musulmans, sans aucune chance de vaincre les infidèles, ce peuple, tout en conservant l'espoir de secouer leur joug avec l'aide de Dieu, peut accepter de vivre sous leur domination à la condition expresse qu'ils conserveront le libre exercice de leur religion et que leurs femmes et leurs filles seront respectées".



La Mecque



صورة تمثل أهم المناطق التي مر عليها ليون روش في رحلته إلى الحجاز مع صورته وصور الأمير عبد القادر والجنرال كلوز يل والماريشال بيجو ونص الفتوى التي حملها معه

المصدر : موقع الشهاب الالكتروني

الملحق رقم : 07



صورة لقناصل الدول في اليابان من بينهم ليون روش يظهر في وسط القائمة العلوي

المصدر : موقع الشهاب الالكتروني

الملحق رقم : 08

« Quand un peuple musulman, dont le territoire a été envahi par les infi dèles, les a combattus aussi longtemps qu’ila conservé l’espoir de les en chasser, et, quand il est certainque la continuation de la guerre ne peut amener que misère,ruine et mort pour les musulmans, sans aucune chance de vaincre les infi dèles, ce peuple, tout en conservant l’espoir desecouer leur joug avec l’aide de Dieu, peut accepter de vivresous leur domination à la condition expresse qu’ils conserverontle libre exercice de leur religion et que leurs femmes et leurs fi lles seront respectée . »

ملخص نص الفتوى التى حملها معه روش الى الحجاز من كتابه 10 سنوات في الإسلام ص 241

المصدر : كتاب ليون روش 10 سنوات في الإسلام

المصادر و المراجع

المصادر والمراجع العربية:

1. **الكتب** :

1 ـ القرآن الكريم ، سورة الأعراف الآية 128 + سورة أل عمران الآية 123 .

2ـ ابن الشيخ الحفناوي ، تعريف الخلف برجال السلف ، الجزائر 1907م .

3ـ ابن عبد القادر الجزائري محمد باشا ن تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، الجزء الأول والثاني ، تعليق ممدوح حقي ، الطبعة الثانية ، 2007م الجزائر .

4ـ الناصري السلاوي ابو العباس احمد ابن خالد ، الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى الدولة العلوية ، الجزء التاسع ، تحقيق وتعليق ، ولدي المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري ، الدر البيضاء ، 1956م .

5 ـ بير بروجر. أدريان ، مع الأمير عبد القادر رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة ، 1837-1838م ، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م جانفي ، برج الكيفان ، الجزائر .

6ـ تشرشل هنري ، حياة الامير عبد القادر ترجمة وتعليق الدكتور ابو القاسم سعد الله ، تونس 1974م .

7ـ تاريخ عبد الحميد بك ، تراجم من المشارقة والمغاربة ، دار الغرب الإسلامي ، تحقيق سعد الله ابو القاسم ، بيروت 2000 م.

8 ـ خوجة حمدان بن عثمان ، المرآة ، تعريب العربي الزبيري ، الجزائر 1975م .

9ـ سعد الله ابو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1976م .

10- سعد الله أبو القاسم ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، الجزء الأول ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981م .
11 – ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية دار الغرب الإسلامي ، 1990
12 – ، ابحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، الجزء الخامس ، الطبعة الأولى دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 2005 م / 1426 .
13 – ، الحركة الوطنية الجزائرية ، الجزء الأول والثاني ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1992م .
14 – ، القاضي الأديب محمد الشاذلي ، الطبعة الثانية ، 1985م.
15 – ، تاريخ الجزائر الثقافي ، الجزء الرابع + الخامس ، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ، 1999م .
16 – ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، الطبعة الأولى ، دار الغرب الإسلامي ، 2003م / 1424 .
17– شالر وليام ، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر 1816 - 1824 / تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي ، **الطبعة الأولى ،1402هـ ، 1982م.**
18- داود محمد ، تاريخ تطوان ، الجزء الثالث ، المجلد الثالث ، تطوان 1962م .
19- مناصرية يوسف ، مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832م – 1847م ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1990م .
20– نجيب العقيقي ، المستشرقون ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة 1980م .

2. المقالات:

1 – إسماعيل العربي (سفارة الميلود بن عراش لدا الملك لويس فليب خلفياتها ونتائجها) ، مجلة التاريخ ، عدد 6 جويلية 1978م الجزائر .
2 – التميمي عبد الجليل (دور المبشرين في نشر المسيحية بتونس 1830م / 1881م) ، الأصالة عدد 30/29 ، 1976م الموافق ل: 1396 .
3 – بكوش محمد الصالح (دور المترجمين في احتلال فرنسا للجزائر)، مجلة أول نوفمبر فصلية ، تاريخية، ثقافية، سياسية .عدد 170، 2007م .
4 – مناصرية يوسف (دور المترجمين العسكريين في الجيش الفرنسي بالجزائر) مجلة التاريخ عدد النصف الثاني من سنة 1982م ، الجزائر 1982م .
5 – منافع عيسى (لالاورابي بيكارد زوجة السيدين) موقع الشهاب الالكتروني www.elchihabe.com.

المصادر والمراجع الأجنبية :

1. الكتب :

1- caillée. jacques , une mission leon roches a rabat en 1845 . Casablanca 1947 .

2- emerit. marcel , l'algerie a l époque d Abdelkader (documents divers t 4) paris1951 .

3- foucon. narcisse , le livre d.or d.algerie (1830-1889) t1 Alger .1889

4- feraud .Charles , les interprètes de l.armee d.afrique .Alger 1876

5- Ideville .Henri , le maréchal Bugeaud d.apres sa correspondance intime et des documents indits (1784-1849) t2 paris 1882

6- roches .leon , trente deux ans a travers l.islam ,t1et 2 .paris ,1884.1885.

7- roches .leon , dix a travers l. islam (1832 – 1844) , préface de m. carraby .paris .1904 .

8- turin.yvonne , affrontements culturels dans l.algerie coloniale écoles médecines .religions 1830-1880 . paris .f. Maspero .1971 .

9- yver .georges , correspondance du capitaine doumas .consul de marxra .1837-1839 .Alger 1912.

10- yver .georges , correspondance du général damremont (1ere série correspondance général t 4) .1837 .paris 1927.

11 - yver .georges , correspondance valee, des possessions francaies dans le nord de l.afrique .paris, 1954.

2. المقالات الفرنسية:

1- Arnaud.(siège d.ain madhi par el hadj Abdelkader ben mohi ed-din revue africaine .n43 (1864).

2- berbrugger et bresnier. (la premier proclamation adresse par les français aux algériens 1830) . revue africaine .n6 1826.

3 – cour Avguste .(notes sur chaires de la langue arabe a alger de constontine et d.oran (1832-1879) revue africaine 1924.

4-emerit.marcel. (la lutte enter les généraux et les prêtres aux débuts de l.algerie française) revue africaine .1953 .

5-emerit.marcel. (la légende de leon roches) revue africaine. t 91.1947.

6-gouvernement général de l.algerie bulletin de liaison et documentation (février .mars).

7- masse hinri (les études arabes en algerie (1830-1930) revue africaine .n 376.3eme et 4eme trim. (1953) .

8- yver.georges. (Abdelkader et le Maroc en 1838) revue africaine .n60 .1909.